آيات غزوة تبوك
دراسة سياقية

دكتور

أحمد محمود جمعة أمين

مدرس أصول اللغة

في كلية اللغة العربية بالقاهرة

آيات غزوة تبوك دراسة سياقية

أحمد محمود جمعة أمين

قسم أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالقاهرة

البريد الإلكتروني :ahmedahmedgomaa4@gmail.com

الملخص :

الحمدالله الذي أظهر على أيدي علمائنا مفاتيح علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ومعاجم...، فكانت دراسة السياق مبحثا من مباحثها , حيث يُعدّ السياقمن القضايا التي نالت اهتمام العلماء والباحثين منذ القدم .

وقد تناول البحث " آيات غزوة تبوك دراسة سياقية " وذلك من خلال بيان نوعي السياق (اللغوي الداخلي والمقامي أو الخارجي) لما لهما من دور في إيضاح الجوانب الدلالية للنص .

فدرس البحث: آيات غزوة تبوك المليئة بالعبر , ومفهوم السياق , وأهميته وأنواعه , وعناصره ومكوناته , وأثره في العلاقات الدلالية بين الألفاظ(المشترك – التضاد – شبه الترادف),وفي تخير الأفعال والأسماء والحروف.

كما وقف البحث على : دور السياق على مستوى الصيغة الصرفية , وعلى مستوى التركيب , والنص , سواء أكان لغويا أم مقاميا .

وهذا البحث يصب في باب الدراسات التي تهدف إلى توصيف لغة القرآن, وإظهار أنه كتابمعجز خالد قال **تعالى**: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(1)

(١) فصلت آية :٤٢ .

الكلمات المفتاحية : آيات غزوة تبوك – ومفهوم السياق – العلاقات الدلالية – المشترك – التضاد – شبه الترادف– الصيغة الصرفية – التركيب– النص.

Verses of the Conquest of Tabuk contextual study

Ahmed Mahmoud Gomaa Amin

Department of Language Origins at the Faculty of Arabic Language in Cairo
Email: ahmedahmedgomaa4@gmail.com

Abstract:
Thank God, who showed at the hands of our scientists the keys to linguistics from a way and dismissed and eloquent..., the study of the context was researched from its investigations, where the context is one of the issues that has received the attention of scientists and researchers since ancient times.
The research dealt with the "verses of the conquest of Tabuk contextual study" through a statement of the two types of context (internal, denominator or external language) because of their role in clarifying the semantic aspects of the text.
He studied the research: the verses of the conquest of Tabuk full of lessons, the concept of context, its importance, types, elements and pillars, and its effect on semantic relations between words (common - anti-synonym - semi-synonym), and in the selection of verbs, names and letters.
The research also focused on the role of context at the level of the pure formula, at the level of composition, and text, whether linguistic or maqam.
This research is part of studies aimed at describing the language of the Qur'an, and showing that it is a book of immortal miracles.

Keywords: Verses of the Conquest of Tabuk - And the Concept of Context - Semantic Relationships - Common - Opposite - Semi-Tandem.

آيات غزوة تبوك محل الدراسة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَۖ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي

ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۚ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ
بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم
مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟
بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا
وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا
هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ
وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ
بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ
ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن
يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ
عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ
﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ
كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ
نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ

بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ
فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ
وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا
فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم
بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾
يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ
يَنَالُوا۟ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ
وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞

۞ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ

وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٨٩ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٩٣ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٤ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ

يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ
ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى
ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾
وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ۗ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ
سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ
ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ
مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ
مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ
لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟

بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ * وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن دراسة السياق محور رئيس من محاور علم الدلالة، وهو ثمرة من ثمرات اللسانيات؛ إذ جعلت منه نظرية ومنهجا متكاملا في دراسة المعنى، ذلك أن الكلمة يتحصّل معناها من السياق وتتغير هذه الدلالة بتغيره وإن كان هذا لا ينفي وجود دلالات للكلمة المفردة لوخلت منها لبطلت وظيفتها في السياق، ومن ثم يأتي السياق لتعيين المعنى المراد من اللفظة متعددة الدلالة، كما يظهر أثره في البناء التركيبي في النص وترابط عناصره وأجزائه معجميا ودلاليا .

ومما لايخفى على كل إنسان وبالأخص المشتغلون بعلوم القرآن ، أن أقرب الطرق الموصّلة إلى معرفة معانى هذا الكتاب العزيز النظر إلى سياق الآيات وما يحيط بها من ظروف وملابسات ، وما ذاك إلا السياق بنوعيه الداخلي (اللغوي) والخارجي (المقامي أو غير اللغوي) لأنه من خلالهما يمكن التعرف على معاني الآيات ، وتفسير النصوص القرآنية ، والمناسبة بينها والترجيح بين الأقوال المحتملة في تفسيرها وتعيين المعنى المراد من اللفظة القرآنية متعددة الدلالة، وهو من أعظم الوسائل التي يدفع بها إيهام الإشكال عن آيات القرآن الكريم ، كما أنه يضبط التفسير بالرأي . ومن هذا المنطلق أجد نفسي تدفعني لدراسة كتاب الله –عزوجل– وذلك من خلال آيات غزوة تبوك التي صورتها سورة التوبة ، والتي تُعَدُّ بحق درسًا تاريخيًا للمسلمين مليئا بالعبر والدروس ، فقد امتازت هذه الغزوة عن غيرها من

الغزوات من حيث ظهور النفاق فيها ظهورا جليّا فاق مثيله في الغزوات الأخرى ، فتميّز فيها المؤمنون الصادقون- الذين تطهرت قلوبهم من الضعف ووساوس الشيطان- من المنافقين المتخلفين عن الجهاد والمتخاذلين المثبطين الذين أرادوا بث الإشاعات والفتن في صفوف المؤمنين، وقد كشف الله أمرهم لرسولهﷺوللمؤمنين، فيجب الاحتياط والحذر منهم ؛ إذ إنهم أشدّ خطرا وعداوة على الإسلام والمسلمين.

وهذا ما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع "آيات غزوة تبوك دراسة سياقية" بالإضافة إلى عدة أسباب أجملها في الآتي:

١- إن هذا الموضوع متصل بكتاب -الله عزوجل-، وإن من أشرف الأعمال أن يتصل العمل بآيات الذكر الحكيم الذي عجز عن الإتيان بمثله الإنس والجن .

٢- بيان إعجاز القرآن الكريم في دقة اختيار ألفاظه وتراكيبه ، فكل لفظة مناسبة للسياق الذي وردت فيه، بحيث إذا حذفت هذه اللفظة لاتقوم غيرها مكانها ، ولم تقم بالمطلوب أبدا.

٣- إبراز جمال القرآن الكريم في تعدد دلالة ألفاظه بناء على تعدد القراءات الصحيحة ، ومناسبة دلالة كل قراءة للسياق الذي وردت فيه ، وإبراز إعجازه وبلاغته في تأثير أسباب نزول الآيات ؛ إذ لا يُكتشف المعنى في كثير من الأحيان إلا بمعرفة سبب النزول.

٤- الكشف عن مدى الترابط بين السياق الدخلي والخارجي في إيضاح المعنى المراد ، حيث يرتبط السياق بمقام معين يُحَدِّد المعنى من خلال قرائن تعين على اختيار معنى واحد من بين المعاني المختلفة ، ويدفع ما يتوهم أنه تعارض بين الآيات.

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذه الدراسة في :

١-أهمية آيات غزوة تبوك المليئة بالعبر والدروس وقد أسلفت الحديث عن ذلك .

٢- أهمية دلالة السياق في كونه من أعظم القرائن في الترجيح أو تحديد الدلالة ، وحل المشكلات والمتشابه من الآيات ، وتحديد معنى اللفظ المشترك ، وكشف أسرار التعبير في الآيات، وبيان مواضع الحذف، ومحل المحذوف من الإعراب، وتقدير المحذوف .

أهداف البحث :

١- التعرف على صفات المنافقين بوصفهم محور الشر والغدر الذي يهدد المجتمع ويبعث على الفساد ، وفضحهم ، وكشف مؤامراتهم ، وذلك في ضوء آيات غزوة تبوك محل الدراسة .

٢- تحديد مفهوم السياق لدى اللغويين والبلاغيين والمفسرين والأصوليين

٣- بيان نوعي السياق (اللغوي الداخلي والمقامي أو الخارجي) وما لهما من دور في إيضاح الجوانب الدلالية للنص .

طبيعة مشكلة البحث :

تهتم هذه الدراسة بآيات غزوة تبوك ، وإبراز دور السياق بنوعيه المشهورين في النظرية السياقية وهما : اللغوي الداخلي والخارجي أو المقامي في التحديد أو الترجيح بين المعاني ، إذ يبين أثرهما الواضح في التحديد والتعيين بين الدلالات من خلالهما ، ومراعاة عناصر سياق الحال فتقوم هذه الدراسة

ببيان دور السياق في توجيه دلالة المفردة ، وباختيار لفظة دون غيرها، و أيضا دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية على مستوى التركيب والنص .

وقد انطلقتُ من طبيعة بحثي هذا إلى عدة إشكاليات وتساؤلات أهمها :

١- كيف نظر علماء اللغة القدامى إلى السياق ، وهل كان حضور السياق في الوعي العربي حضورا مميزا ، أم أن ظهوره وتطوره كان على يد الغرب ؟ وما هي التعبيرات المرادفة للسياق عند العرب؟.

٢-هل للسياق أثر في الترجيح والتحديد بين المعاني المتعددة المختلفة؟.

٣- هل للسياق أثر في تخير المفردات ، والحروف القرآنية ؟ وهل له دور على المستوى التركيبي لآيات غزوة تبوك ؟ .

٤- هل للسياق أثر في تحديد معاني صيغ الزوائد القرآنية لآيات الغزوة؟.

منهج البحث :

- تعدُّ الدراسة منهجا جديدا في التفسير ترتكز على علم عظيم متعلق بالتفسير وهو السياق ، وقد استفدت من الدراسات اللسانية الحديثة في مجال نظرية السياق وعلم النص مع مراعاة ذلك لطبيعة النص القرآني .

- الخروج بمفهوم دقيق يشمل عناصر السياق اللغوي والمقامي ، وقد تم قراءة الآيات وتحليلها في ضوء هذا المفهوم الشامل للسياق ، وإبراز أثر السياق القرآني في تفسير تلك الآيات ، لذا فإن منهجي في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المنهج المناسب للإيفاء بمتطلبات الدراسة .

محتويات البحث :

يحتوي البحث على مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، ثم خاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع .

أما المقدمة : فقد تناولت فيها أسباب اختياري للموضوع ، وأهميته ، وهدفه، وطبيعة مشكلته ، ومنهجي في البحث .

وأما التمهيد فقد خصصته للحديث عن :

١- بين يديْ آيات غزوة تبوك . ٢- مفهوم السياق .

٣- أهمية السياق عند علماء اللغة القدامى،والبلاغيين ، والمفسرين ، والأصوليين ، والمحدثين.

٤- أنواع السياق وعناصره ومكوناته.

ثم جاء الفصل الأول : بعنوان " السياق اللغوي الداخلي" وقد اشتمل علىثلاثة مباحث :**المبحث الأول** : دور السياق والمفردة اللغوية .

ويتناول هذا المبحث :

أولا : أثر السياق في العلاقات الدلالية في آيات الغزوة ويشمل :

١- أثر السياق في المشترك اللفظي . ٢- أثر السياق في التضاد.

٣- أثر السياق في تخير الألفاظ التي بينها (شبه ترادف).

ثانيا : أثر السياق في تخير الأفعال والأسماء .

ثالثا : أثر السياق في تخير الحروف ويشمل :

١- الصوامت (السواكن) .٢- الصوائت (الحركات) .

المبحث الثاني : دور السياق والصيغة الصرفية .

ويتناول هذا المبحث: أثر السياق في تحديد معاني صيغ الزوائد. ويشمل :

أولا : معاني صيغ زيادات الأفعال . **ثانيا** : دلالة صيغ المبالغة .

المبحث الثالث : دور السياق اللغوي على مستوى التركيب. ويشمل :

أولا : سياق الحذف والذكر . **ثانيا** : سياق التقديم والتأخير .

أما الفصل الثاني: فقد جاء تحت عنوان "دور السياق على مستوى النص" وقد اشتمل على **مبحثين:**

المبحث الأول: العلاقات الداخلية في النص (السياق اللغوي). ويتناول هذا المبحث :

أولا: القرائن اللفظية في النص . **ثانيا** : القراءات القرآنية .

المبحث الثاني: العلاقة بين النص والسياق الخارجي (المقامي أو غير اللغوي).

ويتناول هذا المبحث :

أولا : السياق الاجتماعي في آيات الغزوة.

ثانيا : أسباب النزول في آيات الغزوة .

تمهيد

١- بين يديّ آيات غزوة تبوك :[١]

١) اشتهرت هذه الغزوة باسم تبوك، نسبة إلى مدينة تبوك والتى" تقع شمال الحجاز، وتبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ ميلاً حسب الطريق المعبدة في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاعة الخاضعة لسلطان الروم آنذاك ".ينظرقيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي:أكرم بن ضياء العمري، سلسلة كتاب الأمة. قطر.١٩٩٤م:ص٢٢٩.

وأصل هذه التسمية جاء في صحيح مسلم ، فقد روى بسنده إلى معاذ أن رسول الله ﷺ قال:" إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ عَيْن تَبُوْك ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ".ينظر صحيح مسلم،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، دار الخلافة العلية،١٣٣٠،(١٧٨٤/٤) رقم (٧٠٦) .

ولقد سميت –أيضا– غزوة العسرة ؛لأنه اجتمع على المسلمين فيها عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة الماء ، وعسرة الطريق الطويل ، وعسرة إيذاء المنافقين وإرجافهم ، ولكن أصحاب رسول الله ﷺ تحملوا فى سبيل الله تعالى كل أنواع العسرة يقول الله تعالى :﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ التوبة الآية رقم (١١٧) .

وقد وقعت هذة الغزوة في شهر رجب فى السنة التاسعة بعد فتح مكة ، وهي آخر غزوة شارك فيهارسول الله محمد ﷺ .

"وهذه الغزوة هي آخر الغزوات التي شارك فيها رسول الله ﷺ ، وتعدّ نصرا عظيما للمسلمين على الرغم من عدم حدوث قتال فيها بين الجيش الإسلامي ، والجيش الروماني ، حيث أُرْعِب جيش أعظم إمبراطورية في العالم آنذاك ، فقد هربوا من حدود الجزيرة العربية إلى أواسط الشام خوفا من الاصطدام بالجيش الإسلامي ، وذلك لما علموا بقدوم جيش المسلمين البالغ عددهم ثلاثين ألفا، وهو عدد لم يسبق في تاريخ العهد النبوي أن اجتمع مثله تحت القيادة النبوية ، وبذلك سقطت هيبة الروم من نفوس العرب جميعا ، وأمّن المؤمنون حدودهم مع الدولة الرومانية ، كما ==

ابتدأت آيات غزوة تبوك هذه من سورة التوبة بالحث على الجهاد وعدم التثاقل والتكاسل عنه وحذرتهم من سوء عاقبة هذا التكاسل وذكرتهم بما كان من نصر الله تعالى لنبيه وقت أن أحاط به المشركون وهو في الغار ومعه صاحبه أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، وأمرتهم بالخروج للجهاد في حالتي العسر واليسر.

ثم تتوالى الآيات لتتحدث عن حقد المنافقين على النبي ﷺ والمسلمين ، وفرحهم عند إصابتهم بمكروه، ثم تحدثت عن عقد مقارنة بين صفاتهم وصفات المؤمنين، وبيان عقاب المنافقين وجزاء المؤمنين ، كما حكت الآيات عن بعض صفات المنافقين، وكشف وفضح أسرارهم– حينما استنفرهم الرسول ﷺ لغزو الروم – والتي منها :

١–تثبيط همم المؤمنين ، وذلك بنهيهم عن النفور في الحر .

٢–اختلاقهم الأعذار الكاذبة للنبي ﷺ لئلا يخرجوا للجهاد، وذلك في ادعائهم عدم القدرة على الخروج ، وما يصاحب ذلك من الحلف كذبا .

==

أخضعوا الإمارات التابعة لها للصلح ودفع الجزية مثل إمارة دومة الجندل الكندية العربية النصرانية ، وبهذا تكون غزوة تبوك قد حققت أهدافها ، وعاد الجيش الإسلامي إلى المدينة منتصرا انتصارا عظيما" ينظر موسوعة الغزوات الكبرى :غزوة تبوك ، محمد أحمد باشميل ، دار المطبعة السلفية ، ط٣، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م ، بتصرف وإيجاز ، ص٥–٨ .

وذكر المؤرخون أسباب هذه الغزوة فقالوا"وصلت الأنباء للنبي ﷺ من الأنباط الذين يأتون بالزيت أن الروم جمعت جموعا وأجلبت معهم قبائل من لخم وجذام وغيرهما من مستنصرة العرب،وجاءت في مقدمتهم إلى البلقاء ، فأراد النبي ﷺ أن يغزوهم قبل أن يغزوه ".ينظر الطبقات الكبرى : ابن سعد البصري، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٠م، :١٦٥/٢.

٣-بـثُّهم الضـعف وإثـارة الفـتن والفرقـة فـي الصـف ، والاسـتهزاء بالرسولﷺوالمؤمنين وإيذاؤهم والتخلص منهم ، والصدّ عن سبيل الله ، وذلك بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

ثم انتقلت الآيات بعد ذلك إلى طائفة الأعراب وشدتهم في النفاق – عن أناس من أهل المدينة مردوا علي النفاق – وجفائهم ونظرتهم إلى الصدقة فمنهم من يري أنها مغرم ، ومنهم يري أنها قُربة لله ، وفي الآيات حث للمؤمنين على العمل .

ثم نوهّت آيات غزوة تبوك بالأحداث التي دارت فيها ، ولعل أهم هذه الأحداث قلة العُدة وشدة الحر ، وتخلف بعض المسلمين عن الجهاد، ومنهم الثلاثة المخلفون كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، فكان المسلمون في هذه الغزوة أقساما في اتباعهم للنبي ﷺ .

القسم الاول : المثبّطون المحبطون وهم المنافقون المضمرون العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والمتخلفون عن الغزوة كفرا ونفاقا ليس لهم أعذار إلا أعذار واهية كاذبة، وكان هدفهم أن يعجز النبيﷺ عن حشد الجيش المطلوب فيفشل الغزو ، وهؤلاء من الأعراب ومن أهل المدينة ، وقد كان منهم "الجد بن قيس" الذي يخاف أن تفتنه بنات الأصفر ، وأيضا "عبد الله بن أُبي بن سلول" وأصحابه ، وهؤلاء قد أمر الله رسوله ﷺبإخراجهم من صفوف المسلمين عند الجهاد.

القسم الثاني : الناصرون من المهاجرين والأنصار ، وهؤلاء لم يقع منهم تردد بل خرجوا مسرعين طاعة لله ورسوله .

القسم الثالث : وهم المتخلفون الذين استثقلوا الخروج في الحر فتثاقلوا عن الخروج وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ،كأبي لُبابة وأصحابه،

وكان من هؤلاء : الثلاثة المؤمنون السالف ذكرهم، وكان لا عذر لهم يمنعهم من السفر، وهؤلاء جمعيا ندموا على ما فعلوا ، ثم تابوا فتاب الله عليهم .

القسم الرابع : وهم البكاؤون الذين لا يجدون ما ينفقون حبسهم العذر، منهم رجال أتوا رسول ﷺ وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم[١] ثم اختُتِمت آيات الغزوة بالأمر بقتال المشركين الذين يلوون المؤمنين، والغلظة عليهم في معاملتهم، وعدم التساهل معهم.

هذا وقد فُصلت آيات غزوة تبوك بآيات أخرى لم تنزل في شأن الغزوة[٢] ، كالآيات التي تتحدث عن المنافقين بصفة عامة من "باب الشيء بالشيء يذكر" ليكشف شأن المنافقين للمؤمنين ليحذروهم ، وكالآيات التي ذَكرت فضل الجهاد ، وأوصاف المؤمنين ، والبراءة من أهل الكفر والنفاق ولوكانوا ذوي قربى ، لذا لم يتناول بحثي هذه الآيات لأن موضوعها ليس عن أحداث الغزوة .

---

١) روي ابن هشام عن ابن اسحاق أنهم : " نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن عميرة ، علبة بن زيد أخو بن حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحم بن كعب وأخو بني مازن بن النجار ، وعمرو بن البغوي أخو بني سلمة عبد الله بن المغفل االمزني وبعض الناس يقول بل هو عبد الله بن عمرو المزني ، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعرباض بن سارية الفزاري ينظر السيرة النبوية : لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، نشر ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م ، ٢ /٥١٢.

٢) كما في الآيتين ٥٨ ، ٥٩ ، والآيات ٧٥ إلى الآية ٧٨ ، ومن الآية ١٠٧ ، إلى الآية ١١٦ .

٢- تعريف السياق لغة :

أصل لفظة "سياق"هي :سواق، فقلبت الواو ياء لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق"(١).

قال الإمام ابن فارس :"السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيْءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا. وَالسَّيِّقَةُ: مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ. وَيُقَالُ سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَقْتُهُ. وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَسْوَاقٌ. وَالسَّاقُ لِلْإِنْسَانُ وَغَيْرُهُ، وَالْجَمْعُ سُوقٌ، إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاشِيَ يَنْسَاقُ عَلَيْهَا"(٢).

قال الإمام الزمخشري :"ومن المجاز يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث"(٣).

وفي المعجم الوسيط :" وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"(٤).

وبهذا يتبين أن هذه المادة تدور في فلك التتابع والاتصال ، وسياق الكلام من تواليه وتتابعه وتسلسله .

(١ النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير : تحقيق: طاهر أحمد الزاوى: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م:٢/٤٢٤ ، مادة : (س وق)

٢) مقاييس اللغة : لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م،٣/١١٧ مادة:(س و ق).

(٣ أساس البلاغة : للزمخشري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م ، مادة : (س و ق) .

٤) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) نشر: دار الدعوة ،١/٤٦٥ مادة: (س و ق)

السياق اصطلاحا:

ذكر اللغويون أن السياق هو : " الكلام المتتابع إثره إلى إثر بعض ، المقصود للمتكلم ، والذي يلزم من فهمه فهم شئ آخر "[١].

وعُرّف السياق أيضا بأنه "بناء نصيّ كامل من فقرات مترابطة في علاقاته بأي جزء من أجزائه ، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة ودائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيقة الترابط بحيث يلقي الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها "[٢] .

فالسياق يلعب دورا كبيرا في جلاء النص وتوجيه دلالته فهو" مجموع الوحدات اللسانية التي تحيط بعنصر معين داخل سلسلة الخطاب وتؤثر فيه"[٣].

ومن هنا تتضح أهمية السياق في الكشف عن المعنى وإزالة الغموض فيه وهذا ما أشارت إليه المعاجم المتخصصة في المصطلحات الأدبية وعلوم اللغة واللسانيات ، إذ عرّفته بأنه " التركيب أو السياق الذى ترد فيه الكلمة ، أو يسهم في ترديد المعنى المقصود لها "[٤] .

---

١) الأدلة الاستثنائية عند الأصوليين : أبو قدامة الكنانيّ ، دار النفائس ، عمّان ١٤٢٥هـ ، ص٢٢٠.

٢) معجم المصطلحات الأدبية : إبراهيم فتحي ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠٠٠م ، باب اللوق، القاهرة، حرف (س) ، ١ ، ٢ .

٣) معجم علم اللغة النظري :د/محمد علي الخولي ،مكتبة لبنان –بيروت – ط١، ١٩٨٢م : ص٥٧ .

٤) معجم اللسانيات الحديثة : سامي عياد حنا ، كريم حسام الدين ، نجيب جرجس ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١: ص٢٨.

٣- السياق عند علماء اللغة القدامى :

لقد اهتم علماء اللغة القدامى بالسياق ، وعرفوا أهميته في تحديد المعنى، فلقد أشار كل من الحكيم الترمذيّ في كتابه "الفروق ومنع الترداف" وأبي هلال العسكري في كتابه"الفروق في اللغة "، والثعالبي في كتابه"فقه اللغة وسر العربية"، وابن سيده في معجمه "المخصص"، وغيرهم أشاروا إلى أن " بعض الكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد تختلف فيما بينها في درجة التعبير عن المعنى، وإن وجدت علاقة مفهومية تقوم بينها فإن في الواحدة منها جزءا لمعنى لايوجد في الأخرى والسياق هو الذي يبين ذلك"[١]. ولذا فالسياق عنصر مهم من عناصر تحديد المعنى عند المعجميين فبعض" المعاجم لاتقوم إلا على شواهد تبين معنى اللفظ من السياق"[٢].

كما أن النحاة الأوائل اهتموا بالسياق لبيان مجرى الكلام ، وإظهار المعنى الذي يريده المتكلم . فسيبويه يهتم بإبراز دور القرينة اللفظية في إظار المعنى ، وعبارته في بيان الأصل الذي يجري عليه التقديم والتأخير مشهورة ، فقد قال :" كأنهم إنما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يُهمّانِهم ويَعْنِيانهم"[٣].

أما أبو بكر الأنباري فقد شدّد على أهمية السياق في الكشف عن المعنى المقصود للكلمة أو الحرف داخل الجملة؛ لأن بواسطته يتم اقتناص المعنى

---

١) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي :د/هادي نهر ، دار الأمل ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٧م :ص٢٨٧.

٢) الاشتراك اللفظي في القرآن بين النظرية والتطبيق : محمد نور الدين المنجد ، دار الفكر ، دمشق ، ط١، ١٩٩٩م :ص٤٠.

٣) الكتاب : لسيبويه ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م : ٣٤/١

المراد فهو يقول : "إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد"(١).

أما ابن جني فقد تعرض لدور السياق اللغوي في أداء المعنى يقول : " قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"(٢).

كذلك أدرك ابن جني مفهوم سياق الحال (السياق الخارجي) ،أي معرفة ظروف الكلام في الكشف عن الدلالة، فعلى المحدد للمعنى "أن يحيط بالظروف التي تحيط بالكلام ، فيجمع بين السامع والظروف التي تنوب عن المشاهدة والحضور"(٣).

أما علماء البلاغة : فقد تحدثوا عن السياق وعبروا عنه بمصطلحات متعددة منها :مقتضى الحال ، المقام ، قال بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ):"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة

---

١) الأضداد : أبو بكر الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م : ص٢.

٢) الخصائص : لأبي الفتح ابن جني ، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤ : ٣٦٢/٢

٣) فقه اللغة في الكتب العربية :د.عبده الراجحي ، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٧٩م : ص١٦٧.

من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[١]

وكذلك الخطيب القزويني الذي عرف علم المعاني بأنه "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق ، وما يحيط به من القرائن ، أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبّرة عن المعنى المقصود"[٢]، وعرف بلاغة الكلام بأنها : "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته "[٣].

السياق عند المفسرين :

منذ بداية الاهتمام بتفسير القرآن الكريم والتأليف في علومه ، استعان المفسرون بالسياق بوصفه وسيلة مهمة في تحديد المعني ؛ ذلك " لأن النص حمّال أوجه ، إذ تتعدد الوجوه بتعدد السياقات مما يجعله أثرا في توجيه الدلالة"[٤].

ومن هنا جاءت كتب الأشباه والنظائر التي جمعت للكلمة الواحدة في القرآن الكريم دلالات متعددة يعود للسياق الفضل في اكتسابها لهذه المعاني في ضوء الدلالة اللغوية .

كما أظهر المفسرون أهمية السياق بكونه وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن وحدة النص وبيان دلالة الألفاظ القرآنية، قال الإمام ابن القيم: " السياق

---

١) البيان والتبيين : الجاحظ ، مكتبة الهلال، بيروت ، ١٤٢٣ هـ : ١٣١/١ .

٢) الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية –بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م : ص٤

٣) المصدر السابق : ص٢٠ .

٤) السياق اللغوي في النص القرآني : خليل خلف بشر ، جامعة البصرة ، دراسات نجفية (٢٦٥-٢٣٧):ص٢٣٧.

يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة.

وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم . فمن أهمله غلط فينظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى:﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[١] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"[٢].

وقال الإمام الزركشي: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له"[٣]

والمفسرون في تفسيرهم ينظرون للاستعمال السياقي الذي تستنبط منه المعاني والأحكام ، وهو ما سماه الإمام الشاطبي"المعنى التركيبي"[٤]. وأشار إليه د/تمام حسان بـ "المعنى المقامي " ويتكون من ظروف أداء المقال ، وهي التي تشتمل على القرائن الحالية (المقام)"[٥].

"وقد اشترط علماء التفسير في المفسر شروطا لها علاقة بالسياق فالتفسير يستمد من علم اللغة،والنحو، والتصريف، وعلم البيان ، وأصول الفقه ،

١) سورق الدخان الآية : ٤٩

٢) بدائع الفوائد : ابن القيم ، دار الكتاب العربي– بيروت، لبنان :٩/٤ ، ١٠ .

٣) البرهان في علوم القرآن : للزركشي ، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم ،– دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط١،١٣٧ هـ – ١٩٥٧م، ص٣١٧.

٤) الموافقات:للشاطبي ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن ، دار ابن عفان ، السعودية ،ط١ ،١٤١٧هـ –١٩٩٧م :٥٨/١

٥) اللغة العربية معناها ومبناها : د/تمام حسان ، مكتبة الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٩٥م : ص٣٣٩

والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ "[1] ومفهوم التفسير عندهم يكاد يطابق مفهوم السياق ، فقد ذكر السيوطي بأنه "كشف معاني القرآن ، وبيان المراد منه ، سواء كانت معاني لغوية، أو شرعية بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام"[2] .

السياق عند الأصوليين[3] :

لقد ظهرت عند الأصوليين إشارات تبين اهتمامهم بالسياق منها ما ذكره الإمام الشافعي عن أهمية السياق في توجيه المعنى بقوله "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف منمعانيها، وكان مما تعرف من معانيها: اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما، ظاهرا، يراد به العام، الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاما ظاهرا يراد به العام، ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه؛ وعاما ظاهرا، يراد به الخاص. وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه، أو آخره"[4].

ومما يدل على إدراك الأصوليين للسياق ، ودوره في الكشف عن المعنى ماقاله الإمام الشافعي عن الرسائل المُعينة على فهم الخطاب الشعري من أن "طريق فهم المراد تقدم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة،ثم إن كان

---

١) البرهان في علوم القرآن : ١٣/١، ودراسة المعنى عند الأصوليين :د/طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، بدون (ط ، ت): ص٢٢٠ .

٢) التحبير في علم التفسير : السيوطي ، تحقيق د/فتحي عبد القادر فريد ، مكتبة دار العلوم ، الرياض ، السعودية ، ط١ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م،: ص٣٨.

٣)الأصوليون هم العلماء الفقهاء الذين تحدثوا عن الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية .

٤) الرسالة : للإمام الشافعي ، تحقيق : أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر ، ط١، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م : ص٥٠

نصا لا يحتمل كفى معرفة اللغة، وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة إلى اللفظ، والقرينة إما لفظ مكشوف ، وإما إحالة على دليل العقل كقوله تعالى:﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[١]، وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين يختص بدركها المشاهد لها فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر حتى توجب علما ضروريا بفهم المراد أو توجب ظنا وكل ما ليس له عبارة موضوعة في اللغةفتتعين فيه القرائن"[٢] .

ومن خلال كل ماسبق يتبين أن علماء اللغة من المسلمين الأوائل قد عرفوا السياق ومفهومه ، وطبقوه في دراساتهم ، دون أن يقعدوا له القواعد أو يضعوا له النظريات ، وأنهم عبروا عن السياق بألفاظ أخرى مثل "مقتضى الحال" ، و"النظم" ، و"القرينة" ، و"الموقف" ، و "المقال"

السياق عند علماء اللغة المحدثين :

أما في الدراسات الحديثة فإن مصطلح السياق لم يأخذ شهرته إلا عند العالم الإنجليزي"جون فيرث" رائد نظرية السياق ، فقد كان يرى أن دلالة المفردة لا تنكشف إلا بعد وضعها في تراكيب لغوية ، فهو يقول :"المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، أي وضعها في سياقات مختلفة" [٣] .

---

١) الزمر من الآية : ٦٧

٢) المستصفى من علم الأصول : لأبي حامد الغزالي ، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م : ص١٨٥

٣) علم الدلالة : د/ أحمد مختار عمر ،عالم الكتب، ط٣ ، ١٩٩٢: ص ٦٨ .

فإن" معظم الوحدات اللغوية تقع في مجاورة وحدات أخرى ، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"[١] .

"ويقسم فيرث المعنى إلى خمس وظائف أساسية مكونة له وهي :-

الوظيفة السياقية الوظيفة المعجمية الوظيفة الصرفية الوظيفة التركيبية الوظيفة الدلالية : وهي التي تتحقق في (سياق الموقف)" [٢] .

و"يتسع مفهوم السياق ليشمل ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بسياق النص (context verbal) وسياق الموقف ، أو المقام الخارجي ، وهو ما يعرف بـ(contextof situation) أي إن هذا السياق كما فهمه العلماء العرب يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال ، ومن المقام جميعا "[٣] ثم تلاه" أولمان الذي أكد على : أن السياق ينبغي ألا يقتصر على الكلمات والجمل الحقيقية فحسب بل ينبغي أن يشمل القطعة كلها والكتاب كله ، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات ، وكذلك العناصر الغير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه"[٤] .

---

١) المرجع السابق : ص٦٩

٢) المعنى وظلال المعنى ،أنظمة الدلالة في العربية : د/محمد محمد يونس ، دار المدار الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط٢، ٢٠٠٧م : ص١٢٠،١١٩

٣) علم الدلالة : بالمر، إطار جديد : ف. ر. بالمر ، تحقيق ، د/صبر إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ،ط١ ، ١٩٩٥م : ص٦٩

٤) علم الدلالة : د/ أحمد مختار عمر : ص٦٩

وقد قسم بالمر السياق إلى قسمين :"أولا:السياق اللغوي ، وهو ما يسبق الكلمة وما يليها من كلمات إخرى . وثانيا: السياق الغير اللغوي: أي الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام "[١] .

"**ويطابق هذا التقسيم تقسيم فيرث**إلى : السياق اللغوي ، وسياق الموقف"[٢].

أما اللغويون العرب المحدثون ، فقد شملت عناصر "السياق اللغوي "المكونة للحدث اللغوي عندهم ما يلي :"**أولا:** الوحدات الصوتية ، والصرفية ،والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك. **ثانيا:** طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب .

ثالثا : طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي ، وظواهر هذا الأداء المصاحب المتمثلة في النبر والتنغيم والفاصلة الصوتية"[٣].

٤- أنواع السياق عند اللغويين المحدثين :

تسابق علماء اللغة المحدثون في تقديم أنواع كثيرة للسياق – من ذلك :

السياق اللغوي ، السياق العاطفي[٤].، سياق الموقف ،

---

١) علم الدلالة : بالمر: ص٦٩، ١٤١

٢) المرجع السابق : بالمر ،ص٧٧

٣) أثر الوقف على الدلالة التركيبية :د/محمد حبلص، دار الثقافة العربية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ص١٥، ١٧،٢٤.

٤) السياق العاطفي هو الذي يحدد درجة القوة ةو الضعف في الانفعال ، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا فكلمة "يكره " غير كلمة " يبغض" رغم اشتراكهما في أصل المعنى . ينُظر : علم الدلالة :د./أحمد مختار عمر: ص ٧٠،٧١ .

السياق الثقافي[١] السياق المقاصدي[٢]– وإن كان السبق والفضل في هذه الأنواع يرجع إلى علماء العرب القدامى وإن لم يطلقوا هذه المسميات ، وعلى الرغم من تفاوت هذا الحديث ، وتنوع التقسيمات إلا أن المجمع عليه هو انقسام السياق إلى نوعين هما : السياق اللغوي ، والسياق غير اللغوى.

أولا : السياق اللغوي :(linguistic context):

ويقصد به سياق المقال أو السياق الداخلي الذي هو :"حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى مما يكسبها معنى خاصًا محددًا ، ويشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف والاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق ونحو ذلك "[٣] .

---

١) السياق الثقافي : هو سياق يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة ، فكلمة"جذرلها معنى عند المزارع ، ومعنى ثان عند اللغوي ، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات . المرجع السابق : ص٧١.

٢) السياق المقاصدي : هو فهم الجملة بما تحمله من الباعث في القول أو النية أو القصد في القول ، وقد عرف المتقدمون السياق بأنه "ما سيق الكلام لأجله" ينظر:حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: حسن العطار الشافعي ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، بدون (ط، ت) :١/٣٢٠، ويعتبر هذا السياق عند العلماء والمفسرين أساسا لفهم الكلام وبخاصة في كلام الله تعالى الذي ينبئ على أغراض معتبرة، ونظم وتحد.

٣) مبادئ اللسانيات : د. أحمد قدور ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٩٦م، ١٤١٦هـ:ص٢٩٥.

والسياق اللغوي" لاينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة ، فالكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية"[١].فيزيل اللبس من الكلمة.

ويرى الدكتورعبد الفتاح البركاوي بأن السياق اللغوي"هو مجموعة من العناصر المكونة للحدث اللغوي،صوتية، وصرفية ، ونحوية ،ومعجمية"[٢].

فالسياق الصوتي يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه ، والسياق الصرفي يهتم بالمورفيمات سواء كانت حرة أو مقيدة إذ لا قيمة لهذه المورفيمات إلا إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين وتمارس وظيفتها داخل النص أما السياق النحوي فهو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص ، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية كالإعراب .

وأما السياق المعجمي فهو مجموع العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين يمنحها القدرة على التركيب وفق أنظمة اللغة المعينة[٣] .

---

١) علم الدلالة : د/ أحمد مختار عمر: ص ٧٢ .

٢) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث :د.عبدالفتاحالبركاوي ،دار المنار ، القاهرة ،ط١ ، ١٩٩١م : ص٣٠ .

٣) علم اللسانيات الحديثة : د. عبد القادر عبد الجليل ، دار الصفاء للنشر ، عمان ، ط١ ،١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م: ص ٥٤٧ .

ثانيا : السياق غير اللغوي (the nom - linguistic context):

ويسمى أيضا بسياق الحال أو السياق المقامي أو سياق الموقف (context of situatione)[١]،أوالسياق الخارجي للغة التي يمكن أن تقع فيه فهو" يدل على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام" [٢]، أو هو "مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي ابتداء من المرسِل والوسط وحتى المرسَل إليه بمواصفاتهم وتفصيلاتهم المتناهية في الصغر " [٣].

قال الدكتور عبدالفتاح البركاوي :"إنه لما كان الكشف عن معنى الجملة يتطلب معرفة الظرف الخارجي الذي قيلت فيه فقد اهتم اللغويون العرب عموما وعلماء التفسير والحديث والبلاغيون بوجه خاص بمعرفة المقام أو الأحوال المصاحبة للحديث كمعرفة حال المتكلم أو السامع أو حال المخاطبين من الناحيتين الاجتماعية والثقافية أو البيئة العامة أو سبب النزول في الآية أو ورود الحديث أوغير ذلك مما يسمى بالعناصر غير اللغوية التي تساعد في الكشف عن المعنى المراد من النص"[٤] .

وقد أشار القدماء لهذا السياق قال بشر بن المعتمر :" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما "[٥].

---

١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث : ص٢٨

٢) مبادئ اللسانيات : ص ٢٩٨ .

٣) علم اللسانيات الحديثة : ص٥٤٣ .

٤) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث :ص٥٨ .

٥) البيان والتبيين : ١٣١/١

وقال الإمام الشاطبي : "وجوه الاستعمال كثيرة ولكن ضابطها مقتضيات الأحوال التي هي مِلَاك البيان"[١] .

وقد ذكر الأحوال بأنها "حال الخطاب من جهة نفس الخطاب ، أو المخاطَب أو المخاطِب ، أو الجميع ، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين ، وبحسب غير ذلك...."[٢] .

وبتأمل جهود المفسرين عند تحديدهم للمعني يُلاحظ أنهم راعوا الملابسات المحيطة بالنص القرآني ، مثلما راعوا مكونات السياق اللغوي ، فقد اعتمدوا على أسباب النزول – الأحداث المصاحبة للنص القرآني – وزمانه ومكانه ، ونظروا إلى العادات الاجتماعية ، وسنن العرب في كلامها ، وأقوال ﷺ وأفعاله.

ولقد حدد "جون فيرث" العناصر المتصلة بسياق الكلام بثلاثة عناصر ، وهذه العناصر هي:[٣] .

١- شخصية المتكلم والمتلقي، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات أخرى تشهد الحدث الكلامي، وأحداث غير كلامية كالإشارات،وتعبيرات الوجوه والانفعالات وغيرها.

٢- العوامل والظواهر الاجتماعية التي تتصل بالموقف الكلامي كالمكان الذي تجري فيه العملية الكلامية أوالطقس، وحالة الجو ، والوضع السياسي ، وعلاقة ذلك كله بالسلوك اللغوي وقت الكلام .

---

١) الموافقات:٤/٢١

٢) المرجع السابق : ٤/٢٦٧

٣) علم اللغة المعاصر: د/ يحيى عبابنة ،ود. آمنة الزغبي ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن: ص ٣٨، ٣٩

٣- أثر النص الكلامي في المشتركين كالإقتناع، أو الاعتراض ، أو الضحك ، أو السخرية، أو غير ذلك .

عناصر السياق ومكوناته :

يستعان بالسياق في الوصول إلى معاني المفردات والتراكيب والنصوص الكاملة . قال الإمام عبدالقاهر :"إن الألفاظ المفردة التى هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينهما فوائد "[١] فالسياق يهتم بدراسة المفردة والتركيب معا ، ولا يعوّل على معاني المفردات منفصلة عن السياق أو المعنى المعجمي له بل على المعاني التي تركب في السياق ضمن البنية التركيبية لها .

وسوف يتناول البحث تحليل الآيات في غزوة تبوك من خلال مكونات السياق وهي : " المفردة – التركيب – النص " وهي عناصر أساسية وظيفية تشكل السياق بنوعيه الرئيسين : السياق اللغوي الداخلي أو سياق المقال ، والسياق غير اللغوي (الخارجي) أو ما يسمي بسياق الموقف أو المقام .

---

١) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي ، نشر:دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م : ص٣٥٣ .

الفصل الأول: السياق اللغوي "الداخلي"

المبحث الأول

دور السياق والمفردة اللغوية.

تعد المفردة أهم الوحدات الدلالية ، ودلالة المفردة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه " ويمكن أن تدل على أكثر من معنى وهى مفردة ، ولكنها إذا وضعت في مقال يفهم في ضوء "مقام " انتفي هذا التعدد عن معناه ولم يعد لها في السياق إلا معنى واحدا ؛ لأن الكلام لابد أن يحمل من القرائن المقالية اللفظية والمقامية " الحالية " مايعّين معنى واحدا لكل كلمة "[١].

ولما كانت الدلالة هي ركيزة العمل اللغوي ، فقد بذل علماء اللغة جهدهم في البحث عنها أيا كان مكانها، وعرضوا لها سواء أكانت على مستوى اللفظ المفرد أم على مستوى التركيب.

وسوف يتناول هذا المبحث :

أولا: أثر السياق في العلاقات الدلالية في آيات الغزوة ويشمل :

١. أثر السياق في المشترك اللفظي :

عرّف علماء الأصول المشترك اللفظي بأنه " اللفظ الواحد الدال على معنيين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[٢] .

وأطلق عليه بعضهم اسما آخر هو : "ما اتفق لفظه واختلف معناه"،وقد ألفت كتب في المشترك اللفظي في القرآن الكريم أطلق على بعضها : "الوجوه والنظائر "حيث تذكرالكلمات التي وردت في القرآن الكريم في أكثر من

---

١) اللغة العربية معناها ومبناها : د/تمام حسان : ص٣٩ .

٢) المزهر في علو اللغة : السوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١– ١٩٩٨م : ٣٦٩/١

موضوع بنفس الحروف والحركات ، ويراد بها في كل موضع معني غير الآخر، فالألفاظ المتماثلة (نظائر)، والتفاسير والمعاني التي جاءت لها في كل موضع (وجوه) [١] .

ولم يكن القدماء على كلمة سواء في القول بوجود المشترك اللفظي في اللغة ، فمنهم من أقرّ وجوده وقبوله وهو الذي عليه أكثر العلماء ، كالخليل ، وسيبويه ،والأصمعي ، والمبرد ، وابن جني ، والسيوطي ، وغيرهم[٢]. وفريق آخر أنكر وجوده كابن درستويه الذي قال :"إذا اتفق البناءان في الكلمة والحروف ، ثم جاء المعنيان مختلفان ، لم يكن بد من رجوعهما إلى معنى واحد يشتركان فيه ، فيصيران متفق اللفظ والمعني"[٣] .

وقد تضمنت آيات غزوة تبوك من الألفاظ المشتركة ،والتي تدل على معنيين أو معان متعددة، يحددها ويعينها، ويوضح المراد منها السياق، فدلالة المشترك اللفظي إنما تتحدد عن طريق السياق اللغوي . من ذلك :

١- (الأخذ)

قال ابن فارس:" الهمزة والخاء والذال أصل واحد تتفرع منه فروع متقاربة في المعنى. أما أخذ فالأصل حوز الشيء وَجَبْيُهُ وَجَمْعُهُ. تقول أخذت الشيء آخذه أخذا. **قال الخليل:**" هو خلاف العطاء، وهو التناول"[٤] .

---

١) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : هارون بن موسى ، تحقيق :د/ حاتم صالح الضامن ، بغداد – وزارة الثقافة والإعلام – دائرة الآثار والتراث ،١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م : ص٨.

٢) فقه اللغة : د/علي عبد الواحد وافي، دارنهضة مصر ،الفجالة ، ط٢ : ص١٨٩ .

٣) تصحيح الفصيح ، عبد ابن جعفر ابن درستويه : تحقيق: د/ عبد الله الجابوري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٥م : ٢٤٠/١.

٤) مقاييس اللغة : ٦٨/١ (أ خ ذ).

وقد ورد اشتقاق الأخذ في سياق آيات غزوة تبوك على معان ثلاث:

الأول: الأَخْذُ: حوز الشيء وتحصيله(١).

وقد ورد هذا المعنى في سياق أمْرِ الله تعالى- نبيه ﷺ أن يأخذ الصدقات من هؤلاء الذين أقرّوا بذنوبهم ممن تخلفوا عن الخروج إلى غزوة تبوك. يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٢)(٣).

الثاني: أخذنا: الأخذ بمعنى الاستعداد والحيطة، وقد ورد هذا المعنى في سياق بيان الله -عزوجل- لسوء نوايا المنافقين وإظهار خبث بواطنهم في حالة الخروج للجهاد. يقول اللهتعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾(٤).

---

١) المفردات في غريب القرآن: تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت،ط١ – ١٤١٢ هـ : ص٦٧ .

٢)التوبة من الآية: ١٠٣

٣)أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ فَأَطْلَقَهُمْ وَعَذَرَهُمْ ، فَجَاءُوا بِأَمْوَالِهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أَمْوَالُنَا فَتَصَدَّقْ بِهَا عَنَّا وَاسْتَغْفِرْ لَنَا قَالَ: "مَا أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ". فأنزل الله :﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾الآية. ينظر :موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور :أ. د. حكمت بن بشير بن ياسينشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية،ط١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م : ٤٨٤/٢ .

٤) التوبة من الآية : ٥٠

قال الإمام القرطبي:"والحسنة: الغنيمة والظفر. والمصيبة الانهزام. ومعنى قولهم:(أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ) أي احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم فلم نخرج إلى القتال"[١].

وقال الإمام ابن عاشور :"والأخذ حقيقته التناول، وهو هنا مستعار للاستعداد والتلافي"[٢] . بقرينة سياق لغوي لاحق تدل عليه وهي قوله (أَمْرَنا) بمعنى حِذَرنا

<u>الثالث:</u> يأخذ بمعنى يقبل[٣]، وقد ورد هذا المعنى في سياق الحديث عن قبول الله عزوجل توبة عباده الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وقبول الصدقات منهم . يقول الله تعالى:﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[٤] قال الإمام الزمخشري :" يعنى:ألم يعلموا قبل أن يُتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ إذا صحت، ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية"[٥].وقداستنبط هذا المعنى:(القبول) بقرينة لغوية سابقة هي قوله: (يقبل الصدقات).

---

١) تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ١٥٩/٨ .

٢) التحرير والتنوير: لابن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ : ٢٢٢/١٠ .

٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم ، مؤسسة الرسالة – لبنان بيروت ،ط١ ،١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م : ١٣٣/١.

٤) التوبة من الآية : ١٠٤

٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : للزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣ – ١٤٠٧ هـ : ٢/ ٣٠٨ ، وتفسير الفخر الرازي : مفاتيح الغيب / التفسير الكبير : ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣ – ١٤٢٠ هـ،١٦/ ١٣٩.

وعلى ذلك يمكن تفسير الاشتراك في هذا اللفظ (الأخذ) بأنه ناتج عن تغير معنى اللفظ وانتقاله من دلالته الأصلية وهي:(التناول) إلى دلالات أخرى مجازية وهي:(الاستعداد والحيطة ، والقَبُول) وأن السياق النصي اللغوي هو الذي حدّد دلالة هذه المعاني.

٢-(الأمر)

في القاموس القويم للقرآن الكريم : الأمر ، وجمعه أمور يراد به ما يأتي:

أ- طلب الفعل وهو ضد النهي

ب- والشأن والحال ، ويفسر فكل مقام بحسبه.[١].

وقد ورد لفظ الأمر في سياق آيات غزوة تبوك مفردا وجمعا على أربعة معان يعينها السياق ويوضح المراد منها.

الأول : الأمور بمعنى :المكايد والحيل .

الثاني : الأمر بمعنى: الدين [٢] .

وقد ورد هذان المعنيان في سياق بيان الله تعالى لمكر المنافقين وخبث باطنهم. يقول الله تعالى:﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[٣].

قال الإمام الزمخشري :" وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ أي ودبروا لك الحيل والمكايد ... حَتَّى جاءَ الْحَقُّ وهو تأييدك ونصرك ،وظهرأمر الله وغلب دينه وعلا

---

١) القاموس القويم للقران الكريم : للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ، مجمع البحوث الإسلامية١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣ : ٣٠/١ .

٢)نزهة الأعين النواظر : ١٧٣/١ .

٣) التوبة من الآية : ٤٨

شرعه"[1].

وقد ورد المعنى الأول:(المكايد والحيل)في الآية بقرينة لغوية هي قوله (وَقَلَّبُوا)بمعنى دبروا ، بينما جاء المعنى الثاني:(الدين) بقرينة قوله (وظهر)"لأن الدين كان كالمستور"[2]. وقرينة قوله (وهم كارهون)أي كارهون لمجيء الحق والدين .

الثالث : الأمربمعنى الحذر[3] .

يقول الله تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾[4].

قال الإمام الزمخشري:"أى أمرنا الذي نحن متسمون به، من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم مِنْ قَبْلُ ما وقع "[5].

الرابع: الأمر بمعنى: الحُكْم [6].

في سياق إخبار الله سبحانه عن حال قِسْم آخر من أقسام المتخلفين عن غزوة تبوك ،يقول الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾[7] .

---

١) الكشاف : ٢٧٧/٢ ، تفسير البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١ – ١٤١٨ هـ: ٣/ ٨٣ ، وفتح القدير: للشوكاني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، ط١ – ١٤١٤ هـ : ٤١٩/٢.

٢) البحر المحيط : ٤٣١/٥

٣) نزهة الأعين النواظر : ١٧٥/١ .

٤) التوبة من الآية : ٥٠ .

٥) الكشاف : ٢٧٨/٢

٦) معجم ألفاظ القران الكريم : مجمع اللغة العربية ، ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨: ٧٨/١ .

٧) التوبة من الآية : ١٠٦

قال الإمام البقاعي :" أي لما يأمر به فيهم الملك الأعظم الذي له الأمر كله لا يدرون أيعذبون أم يرحمون"[١] .

وقال الإمام سيد طنطاوي :" والمعنى: ومن المتخلفين عن الخروج معك إلى تبوك– يا محمد– قوم آخرون موقوف أمرهم إلى أن يحكم الله فيهم بحكمه العادل"[٢] .

يتضح مما سبق أن لفظ (الأمر) من قبيل المشترك اللفظي ويرجع السبب في تعدد معناه في الآيات السابقة إلى المجاز اللغوي (والعلاقة المشابهة)، والذي حدد دلالة معاني لفظ الأمر في كل آية هو السياق النصي اللغوي.

٣– (الثِّقْل)

قال الإمام الراغب :" الثِّقْل والخفة متقابلان. فكل ما يترجح على ما يوزن أو يقدّر به يقال: هو ثقيل ، وأصله فى الأجسام ثم يقال فالمعانى،نحو:أَثْقَلَه الغرم "[٣].

وقد ورد اشتقاق الثقل في سياق آيات غزوة تبوك على معنيين تبعا لاختلاف السياق ودلالته ، إذ إن السياق كفيل بتوجيه المفسر إلى المقصود من هذه الدلالة .

الأول :"اثاقلتم" بمعنى ركنتم إلى الدنيا [٤].

---

١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة ١٤/٩

٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم :د. محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ،ط١ –١٩٩٧م: ٤٠٠/٦ .

٣)المفردات في غريب البقرآن : ص١٧٣.

٤) نزهة الأعين النواظر : ٢٢٦/١

وقد ورد في سياق الترغيب في مقاتلة الكفار، والعتاب على التقاعد بترك الجهاد في سبيل الله يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ (١).

قال الإمام الألوسي:" أي اثاقلتم مائلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية،عما قليل وكرهتم مشاق الجهاد ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة والحياة الباقية"(٢).

وقرينة السياق اللغوي الدالة على هذا المعنى:(الركون إلى الدنيا وعدم الرغبة للجهاد) هي قوله (إلى الأرض) فهي توحي برغبتهم في البقاء في حوائطهم وثمارهم ، وأيضا الاستفهام الانكاري التوبيخي في قوله :(أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) .

الثاني : "ثقالا" بمعنى الشيوخ(٣).أو بمعنى فقراء ، أو كسالى(٤) .

يقول الله تعالى:﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾(٥) .

قال الإمام ابن عطية :" معنى الخفة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة ...، وقيل «الخفيف» الغني «والثقيل» الفقير: قاله مجاهد، وقيل الخفيف الشاب والثقيل الشيخ

---

١)التوبة من الآية :٣٨ .

٢) روح المعاني :الآلوسي ، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ ، ٢٨٦/٥ .

٣) نزهة الأعين النواظر:٢٢٦/١

٤) المفردات في غريب القرآن : ص١٧٤ ، وبصائر ذوي التمييز : للفيروزآبادي ، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م ، ٣٣٥/٢

٥) التوبة من الآية :٤١

قالـه الحسـن وجماعـة، وقيـل الخفيـف النشـيط والثقيـل الكاسـل، قالـه ابـن عباس وقتادة"[١].

ومـن خـلال مـا ذكـره العلمـاء مـن دلالات لهـذا اللفـظ (الثقـل) فهويـدخل تحـت نطـاق ألفـاظ المشـترك اللفظـي ، وأن السـبب فـي تعـدد معنـاه فـي الآيتـين السـابقتين يرجـع إلـى المجـاز اللغـوي (علاقـة المشـابهة)، وأن الذي حدّد دلالة هذين المعنيين هو السياق النصي اللغوي .

٤-(رجع)

وقد ورد الفعل رجع في آيات غزوة تبوك في سياقين مختلفين وفي كل سياق دليل علىمعنيين مختلفين :

الأول : رجعتم بمعنى: عدتم وقد ورد هذا المعنى في سياق إخبار الله سبحانه عن المنافقين المعتذرين بالباطل ، والذين تخلفوا عن الجهاد وقعدوا في المدينة من بدون عذر، بعد أن يعود الرسول ﷺ إليهم والمؤمنون من تبوك.يقول الله تعالى:﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾[٢].

"أى: إن هؤلاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد مع قدرتهم عليه، سيعتذرون إليكم- أيها المؤمنون- إذا رجعتم إليهم من تبوك، بأن يقولوا لكم مثلا: إن

---

١) المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز :ابن عطية ،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ – ١٤٢٢ هـ، ٣٧/٣ ، والجامع لأحكام القرآن، ، ١٥٠/٨، البحر المحيط :لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، نشر: دار الفكر – بيروت- ١٤٢٠ هـ ، ٤٢٣/٥، وفتح القدير، ، ٤١٤/٢

٢) التوبة من الآية : ٩٤ .

قعودنا في المدينة وعدم خروجنا معكم كانت له مبرراته القوية. فلا تؤاخذنا"[1].

الثاني: رجعك بمعنى" ردَّك "وقد ورد هذا المعنى فى سياق بيان الله ما يجب على الرسول نحو هؤلاء المُخَلَّفين عن غزوة تبوك والكارهين للجهاد .يقول الله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾[2].

"ورجع هنا متعد بمعنى ردَّ ومصدره الرجع وقد يكون لازما ومصدره الرجوع، وأوثر استعمال المتعدي وإن كان استعمال اللازم كثيرا إشارة إلى أن ذلك السفر لما فيه من الخطر يحتاج الرجوع منه لتأييد الله عزوجل،ولذا أوثرت كلمة "إن" على "إذا""[3].

ومن خلال ما سبق يتبين أن الفعل (رجع) من قبيل المشترك اللفظي ، وأن السبب في تعدد معناه في الآيتين السابقتين يرجع إلى نتيجة الاختلاف في اللزوم والتعدي.

٥-(الصلاة)

قال الإمام الراغب :"قال كثير من أهل اللغة: الصلاة هي الدعاء، والتبريك والتمجيد، يقال: صليت عليه، أي: دعوت له وزكيت، وقال عليه السلام: "إذا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إلى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ، وإنْ كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِّ"[4].أي: فليدع

---

١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٦/ ٣٨٣

٢) التوبة من الآية : ٨٣ .

٣) روح المعاني : ٣٤٠/٥ ، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم :٣٦٨/٦ ، والتحرير والتنوير:١٠/ ٢٨٢

٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم(٢٧٥٨) .

لأهله،...، والصلاة التي هي العبادة المخصوصة، أصلها: الدعاء، وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه"[١] .

وقد ورد لفظ الصلاة مفردا وجمعا في سياق آيات غزوة تبوك على معنيين:

الأول : الصلاة بمعنى الدعاء[٢]. يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾[٣].كما ورد اللفظ مجموعا (صلوات) في سياق بيان الله سبحانه عن حال المؤمنين الصادقين من الأعراب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويعدّون كل ما ينفقهونه في سبيل الله وسيلة للتقرب إليه- سبحانه- وتعالى بالطاعة، ووسيلة للحصول على دعوات الرسولﷺ له بالرحمة والمغفرة .يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ﴾[٤] .

قال الإمام القرطبي :"ومعنى" وصلوات الرسول" استغفاره ودعاؤه. والصلاة تقع على ضروب، فالصلاة من الله عز وجل الرحمة والخير والبركة، قال الله تعالى:"هو الذي يصلي عليكم وملائكته"[٥].والصلاة من الملائكة الدعاء، وكذلك هي من النبي ﷺ ، كما قال:" وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم"[٦] أي دعاؤك تثبيت لهم وطمأنينة"[٧].

---

١) المفردات، ص٤٩١ .

٢) نزهة الاعين النواظر،١/٣٩٤ .

٣) التوبة من الآية :١٠٣ .

٤)التوبة من الآية : ٩٩

٥)الأحزاب من الآية :٤٣

٦) التوبة من الآية : ١٠٣

٧) الجامع لأحكام القرآن : ٨/٢٣٥ .

وقد استبط معنى (الدعاء) للفظ الصلاة في الآيتين السابقتين بقرينة لغوية وهي نسبة الصلاة إلى رسول اللهﷺ ، والصلاة من الرسول دعاء ، وليس المراد الصلاة المعروفة شرعا.

الثاني : الصلاة بمعنى: الصلوات الخمس [1] والتي خصصها الشرع بذات الأركان والأذكار المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة ، وقد ورد هذا المعنى في سياق بيان الله عن مظاهر فسق المنافقين .

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾[2].

وقد اسْتُنبِط هذا المعنى(الصلوات الخمس) بقرينة لغوية في النص هي قوله (كسالى)

٦-(الفتنة)

قال الأزهري :" جِمَاع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد"[3].

وقال الإمام ابن الأثير :" وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم، والكفر، والقتال، والإحراق، والإزالة،

---

١) بصائر ذوي التمييز: ٤٣٨/٣ .

٢) التوبة من الآية :٥٤ .

٣) تهذيب اللغة :للأزهري ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١، ٢٠٠١م ٢١١/١٤ (ف ت ن) ، ولسان العرب:لابن منظور، دار صادر – بيروت ، ط٣ – ١٤١٤هـ، ٣١٧/١٣ (ف ت ن).

والصرف عن الشيء."[١].

وقد ورد لفظ الفتنة في سياق آيات غزوة تبوك على خمس معان يعينها السياق ويوضح المراد منها.

الأول: الفتنة بمعنى :الكفر الثاني: الفتنة بمعنى : الفتك برسول الله ﷺ وهلاكه ، وقد ورد هذان المعنيان في قول الله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[٢].

فسّر العلماء الفتنة في الآية بالكفر والشرك. قال الإمام الألوسي : "عن الحسن أن الفتنة بمعنى الشرك أي يريدون أن تكونوا مشركين"[٣] .

وفي البحر المحيط" الفتنة في الآية الكفر قاله: مقاتل، وابن قتيبة، والضحاك"[٤] وترجع معاني أخرى للفتنة في الأية بمعنى:" العيب والشرقاله: الكلبي. أو تفريق الجماعة أو المحنة باختلاف الكلمة أو النميمة"[٥].

وفسّر ابن عباس الفتنة بالمعنى الثاني بقوله:"بغوا لك الغوائل. وقال ابن جريج: وقف اثنا عشر من المنافقين على الثنية ليلة العقبة كي يفتكوا به. وقال أبو سليمان الدمشقي: احتالوا في تشتيت أمرك وإبطال دينك"[٦].وفسّر الزمخشري الفتنة في الآية بتشتيت صفوف المسلمين فقال "أى العنت ونصب الغوائل والسعى في تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك، كما فعل

---

١) النهاية في غريب الحديث والأثر :٤١١/٣ ، مادة: (ف ت ن) .

٢) التوبة الآية : ٤٨ .

٣) روح المعاني : ٣٠٣/٥ .

٤) البحر المحيط: : ٤٣٠/٥ .

٥) الصفحة نفسها

٦) الصفحة نفسها

عبد الله بن أبيّ يوم أحد حين انصرف بمن معه "[1]. وهذا على سبيل المجاز

وكل هذه المعاني للفظ (الفتنة) واردة بقرينة لغوية سابقة هي قوله (ابتغوا) ، وقرينة لغوية لاحقة في قوله (وقلّبوا لك الأمور) تدل على شدة حرصهم على الافساد ، والاضرار بالمسلمين ، أو الفتك برسول الله ﷺ.

الثالث: الفتنة بمعنى :الوله بالنساء والافتنان بها قال تعالى:﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾[2].

"**ونَزَلَتْ فِي الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ**، وَذُكِرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺلَمَّا أَمَرَ بِالْغَزْوِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ حَرَّضَ النَّاسَ فَقَالَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ:«هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ» وَقَالَ لَهُ وَلِلنَّاسِ:«اغْزُوا تَغْنَمُوا بَنَاتِ الْأَصْفَرِ» . فَقَالَ الْجَدُّ: ائْذَنْ لِي فِي التَّخَلُّفِ وَلَا تفتني بكر بَنَاتِ الْأَصْفَرِ، فَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنِّي لَا أَتَمَالَكُ عَنِ النِّسَاءِ إِذَا رَأَيْتُهُنَّ وتفتني، وَلَا تَفْتِنِّي بِالنِّسَاءِ" [3] .

الرابع: الفتنة بمعنى :الإثم[4] . قال تعالى:﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾[5]. "أي ألا فى الإثم وقعوا وصاروا"[6].

---

١) الكشاف ٢/ ٢٧٧

٢) التوبة من الآية : ٤٩ .

٣) البحر المحيط : ٥/٤٣١ .

٤) نزهة الأعين النواظر ، ١/ ٤٨٠ .

٥) التوبة من الآية : ٤٩ .

٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الإمام الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ١٤/ ٢٨٨ .

الخامس: الفتنة بمعنى : المرض [١] .

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾[٢].

قال الإمام الزمخشري :"يفتنون أي يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم، ولا يذكرون، ولا يعتبرون، ولا ينظرون في أمرهم"[٣].

وذكر أبو حيان للفظ الفتنة الوارد في الأية معاني أخرى فقال:" يفتنون، يختبرون بالسنة والجوع. وقال الحسن وقتادة:يختبرون بالأمر بالجهاد. ...وقال مقاتل : يفضحون بإظهار نفاقهم، وأما الاختبار بالمرض فهو في المؤمنين"[٤] .

وقد اسْتُنبِطَت هذه المعاني في الآية السابقة بقرينة لغوية لاحقة في قوله (ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) .

وبناء على هذه الدلالات المتعددة لكلمة (الفتنة) يمكن القول بأن هذه الكلمة من قبيل المشترك اللفظي ، ويرجع السبب في تعدد معنى (الفتنة) في الآيات السابقة إلى المجاز اللغوي (علاقة المشابهة)، وأن الذي رجح أحد هذه المعاني للفظ(الفتنة) ووضح المراد منها هو السياق النصي اللغوي .

---

١) نزهة الأعين النواظر :١/٤٨٠ .

٢) التوبة من الآية : ١٢٦ .

٣)الكشاف ٢/ ٣٢٤ .

٤) البحر المحيط : ٥/ ٥٣٠ .

٢- أثر السياق في التضاد

التضاد "هو دلالة اللفظ على معنيين متقابلين بمساواة بينهما "[١] .

والتضاد نوع من المشترك اللفظي ، وليس كل مشترك لفظي يدخل في باب التضاد ، والمشترك اللفظي يمكن أن يكون بين معنيين أو أكثر ،ولكن التضاد لا يكون إلا بين معنيين "فالمشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على الضدين كالجون والجلل وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين "[٢]،وقد قال أكثر أئمة اللغة بوجود التضاد في كلام العرب ، ومن هؤلاء الخليل ، وسيبويه ، وقطرب ، وغيرهم ، بل عده ابن فارس "من سنن العرب حيث قال : ومن سُنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد. نحو"الجَوْن" للأسود و"الجَوْن" للأبيض" [٣].

وممن أنكره ابن درستويه[٤]، والآمدي ألف كتابا في إنكار الأضداد سماه الحروف من الأصول في الأضداد [٥]

ومن أهم الأسباب التي دفعت اللغويين إلى التأليف في الأضداد هو ورود طائفة منها في القرآن الكريم ، صرح بذلك أبو حاتم السجستاني (ت:٢٥٥هـ) في مقدمة كتابه في الأضداد ،**حيث قال** : "حملنا على تأليفه أنا وجدنا من

---

١) علم اللغة بين القديم والحديث:د/عبدالغفار هلال ، مطبعة الجبلاوي ،ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ، ص٩١ .

٢) المزهر للسيوطي : ٣٠٥/١

٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها :ابن فارس ، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٦٠.

٤) المزهر: ٣١١/١ .

٥) معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٠م ، ٦١/٨ .

الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا ، فأوضحنا ما حضر منه إذا كان يجيئ في القرآن (الظن) يقينا وشكا، و(الرجاء)خوفا وطمعا ، وهو مشهور في كلام العرب"[١].

وقد احتوت آيات غزوة تبوك على بعض الألفاظ المتضادة ، وكان للسياق دور بارز في إيضاح معاني هذه الألفاظ والقول بتضادها من ذلك :

١. (الجزاء)

وقد ورد اشتقاق (جزى) في سياق آيات غزوة تبوك على معنيين :

الأول : جزاء بمعنى المجازاة على الشرع على سبيل العقوبة وقد ورد هذا المعنى في سياق وعيد الله – سبحانه وتعالى – لهؤلاء المتخلفين عن غزوة تبوك بالبكاء الطويل والندم في الآخرة ،بسبب نفاقهم ومعاصيهم .

يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٢] .

قالالإمام ابن عاشور: "الجزاء: المكافأة على العمل بما يناسب ذلك العمل من خيرأو شر"[٣] .

ويخبر المولى –عزوجل– بأن المنافقين أصحاب الأعذار الكاذبة بالأيمان الفاجرة قذر لخبث باطنهم ، وسيكون مصيرهم جهنم بسبب ما اكتسبوه من أعمال قبيحة، و أفعال سيئة.

---

١) الأضداد للسجستاني – ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان : ص ٧٢

٢) التوبة الآية ٨٢ .

٣) التحرير والتنوير ١٩٢/٦،ونظم الدرر، ٧٢/٩، الدر المصون : السمين الحلبي،تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق : ١/ ٤٨٩ ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٤١١/١

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

الثاني : ليجزيهم بمعنى يكافئهم على سبيل الخير ، وورد هذا المعنى في سياق جزاء ما أعده الله –سبحانه – من جزيل الثواب للمؤمنين الذين صاحبوا رسول الله في جميع غزواته، ولم يتخلفوا وتحملوا مشاق الجهاد ومتاعبه ،وما بذلوه من مال في سبيل الله .وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وبناء على ما ذكر من دلالة كلمة (الجزاء) يتبين أنها من قبيل التضاد (ثواب الخير والشر)[3]. ويرجع السبب في تعدد المعنى إلى اختلاف السياق اللغوي، وأن الذي حدد دلالة المعنيين لكلمة(الجزاء)ووضح المراد منها هو السياق النصي اللغوي .

٢ – الظن

يذكر ابن فارس أن"الظاء والنون أصل صحيح يدل على معنيين مختلفين: يقين وشك" [4] .

وقالالإمام السجستاني:" الظن في القرآن شك ،والظن يقين، فالشك ورد في قوله سبحانه:﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[5]، ومن اليقين قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[6][7].

---

١) التوبة من الآية : ٩٥ .
٢) التوبة الآية : ١٢١ .
٣)بصائر ذوي التمييز ، ٣٨٠/٢
٤) مقاييس اللغة :٤٦٢/٣ ، مادة :(ظ ن ن) .
٥) الجاثية من الآية : ٣٢
٦) البقرة الآية :٤٦
٧) الأضداد : للسجستاني ، ص ٧٦.

وقد وردت كلمة "الظن" في آيات غزوة تبوك بمعنى واحد هو :"اليقين الجازم" ،وذلك في معرض الحديث عن تقبل الله عزوجل توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم كعب بن مالك ،وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع فقد أيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه.

يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾[١] .

قال الإمام القرطبي:" أي تيقنوا أن لا ملجأ يلجأون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه"[٢] .

وقال الإمام ابن عاشور:" والظن مستعمل في اليقين والجزم، وهو من معانيه الحقيقية.، أي وأيقنوا أن أمر التوبة عليهم موكول إلى الله دون غيره بما يوحي به إلى رسوله، أي التجأوا إلى الله دون غيره. وهذا كناية عن أنهم تابوا إلى الله وانتظروا عفوه"[٣].

ومن النصوص السابقة لأقوال العلماء نعلم أن لفظ "الظن" من "الأضداد" ويرجع السبب في تضاد المعنى إلى اختلاف السياق اللغوي .

---

١) التوبة من الآية : ١١٨ .

٢) الجامع لأحكام القرآن ، ٢٧٨/٨ .

٣) التحرير والتنوير ، ١١/ ٥٣ .

٣- الاعتذار

قال أهل اللغة: (الاعتذار) من ألفاظ التضاد قال الإمامالصغاني:"اعتذر إذا أتى بعذر وإذا لم يأت بعذر"(١).

وقد ورد اشتقاق (الاعتذار) في سياق آيات غزوة تبوك على معنيين متضادين :

١- معتذر بمعنى آت بالاعتذار فهو محق. ٢- معتذر لا عذر له فهو غير محق.

وقد ورد الفعل(تعتذروا)في قول الله تعالى:﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٢).

بمعنى الأعذار الكاذبة في سياق الحديث عن كشف خبايا المنافقين وإبطال أعذارهم.

قال الإمام سيد طنطاوي:"الاعتذار معناه محاولة محو أثر الذنب، مأخوذ من قولهم: اعتذرت المنازل إذا اندثرت وزالت، لأن المعتذر يحاول إزالة أثر ذنبه.والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين المستهزئين بما يجب إجلاله واحترامه وتوقيره: قل لهم على سبيل التوبيخ والتجهيل أيضا- :لا تشتغلوا بتلك المعاذير الكاذبة فإنها غير مقبولة"(٣).

كماورد اسم الفاعل (مُعَذِّرون) في سياق الحديث عن أحوال المنافقين من أعراب "سكان البادية"، أو معرض الحديث عن أحوال المؤمنين الصادقين

---

١) الاضداد :للضغاني – ذيل لثلاثة كتب في الأضداد، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان :ص ٢٣٨، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : د/أحمد مختار عمر ،دار سطور للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م : ص ٣١١ .

٢) التوبة من الآية : ٦٦ .

٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٦/ ٣٤١ .

من الأعراب حيث يحتمل السياق هذين التقديرين يقول الله تعالى:﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[١].

قال الإمام ابن عاشور:" المراد بِالْمُعَذِّرِينَ فريق من المؤمنين الصادقين من الأعراب، كما تدل عليه المقابلة بقوله تعالى:﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله. وعلى هذا المعنى فسر ابن عباس، ومجاهد، وكثير. وجعلوا من هؤلاء غفارا، وخالفهم قتادة فجعلهم المعتذرين كذبا، وهم بنو عامر رهط عامر بن الطفيل، قالوا للنبي ﷺ إن خرجنا معك أغارت أعراب طيء على بيوتنا. ومن المعذرين الكاذبين أسد، وغطفان.

وعلى الوجهين في التفسير يختلف التقدير في قوله:﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ فإن كانوا المحقين في العذر فتقدير "الْمُعَذِّرُونَ" أن أصله المعتذرون، من اعتذر أدغمت التاء في الذال لتقارب المخرجين لقصد التخفيف، كما أدغمت التاء في الصاد في قوله تعالى :﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٢]. ، أي يختصمون.

وإن كانوا الكاذبين في عذرهم فَتَقْدِيرُ "الْمُعَذِّرُونَ" أنه اسم فاعل من عذر بمعنى تَكَلَّفَ العُذرَ فعن ابن عباس: لعن الله المُعَذِّرِين. قال الإمام الأزهري:"ذهب إلى أنهم الذين يعتذرون بلا عذر فكأن الأمر عنده أن المعذر بالتشديد هو المظهر للعذر اعتلالا وهو لا عذر له اه.

ويجوز أن يكون اختيار صيغة المعذرين من لطائف القرآن لتشمل الذين صدقوا في العذر والذين كذبوا فيه"[٣] .

---

١) التوبة من الآية: ٩٠ .

٢) يس من الآية: ٤٩ .

٣) التحرير والتنوير : ٢٩٢/١٠ .

ومن خلال ما سبق يتضح أن لفظ (الاعتذار) من الأضداد ويرجع السبب وراء تضاد المعنى إلى اتفاق بناء اعتذر لفظا واختلافه تقديرا ، وكان للسياق دور بارز في الوصول إلى معناه .

٣- أثر السياق في تخيرالألفاظ التي بينها (شبه ترادف)

الترادف في الاصطلاح ما اختلف لفظه واتفق معناه ، أو هو أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد مثل : أسهب وأطنب ، وأفرط وأسرف وأغرق ، كلها بمعنى واحد. وقد عرف الترادف منذ عصر سيبويه الذي أشار إليه فقال : الترداف هو اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو :ذهب وانطلق [١]، وعد ابن جني الترداف من خصائص اللغة العربية ، وخصص فصلا في كتابه الخصائص سماه: باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني [٢]، وأنكر بعضهم الترداف فقال ابن الأعرابي:(ت٢٣١هـ) :كل حرفين أوقعهما العرب على معنى واحد ، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله؟[٣]، "ومنهم أبو علي الفارسي (ت٢٧٧هـ) وابن فارس (ت٣٩٥هـ) وقد ذهب إلى أن الشئقديسمى باسم واحد ، كالسيف مثلا ثم تقول له عدة ألقاب وأوصاف كالصارم والحسام والمهند وغيرها فهذه عندهما صفات وليست أسماء ،وقد ألف أبو هلال العسكري (ت٣٩٥)كتابه الفروق في اللغة

---

١) الكتاب : لسيبويه : ٢٤/١.

٢) الخصائص : لابن جني : ١٥٥١١٥/٢ .

٣) الأضداد : لابن الأنباري : ص ٧ .

"لإبطال الترادف وإثبات الفروق بين الألفاظ التي يُدعى ترادفها ، أما علماء اللغة المحدثون فقد عرضوا لهذا الموضوع واختلفوا فيه أيضا [١] .

والممعن في آيات القرآن الكريم يلاحظ تنوعا في استخدام القرآن للألفاظ واختلاف معناها تبعا للسياق ،وإن اتفقت دلالتها في المعاجم . فكل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم قد وضع في مكانه الصحيح الذي يؤدي فيه معناه المراد، والذي يتحدد من خلال السياق بشكل دقيق محكم لا لبس فيه ، ويؤكد انتفاء مظنة الترادف وعدم إمكانية حلول لفظة مرادفة مكان لفظة مرادفة لها. وقد أشار الجاحظ إلى خصوصية دلالة اللفظة القرآنية بقوله :" وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله – تبارك وتعالى – لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث" [٢].

وللسياق دور كبير في اختيار المفردات ، واستخراج المعاني ، وتوضيح الدلالات ، وسوف يعرض البحث دراسة تطبيقية للألفاظ التي بينها "فروق لغوية أوشبه ترادف" من خلال آيات غزوة تبوك ، ومن تلك الألفاظ:

---

١) علم الدلالة : أحمد مختار عمر : ص٢١٨ –٢٢٠.

٢) البيان والتبيين : الجاحظ : ٤١/١ .

١- أتى – جاء

تذكر بعض المعاجم اللغوية أنه لا فرق بين اللفظين أتى – جاء فهما بمعنى واحد،فقد فسر ابن منظور المجيء بالإتيان والإتيان بالمجيء[١].ووافق ابن منظور الفيروزآبادي والفيومي [٢].

ولكن الراغب فرق بين اللفظين باعتبار العموم والخصوص فيقول: "الإتيان: مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه: أتي وأتاوي ....، والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعيان والأعراض، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾[الأنعام:٤٠]،وقوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[النحل: ٢٦] ، أي: بالأمر والتدبير.[٣].

ويرى كذلك أن (المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول... [٤].

ومن خلال نص الراغب يُلاحظ أن (الإتيان) يدل على المجيءبسهولة ، وكونه يقال باعتبار القصد ،وأما (المجيء) فيقال باعتبار الحصول .

---

١) لسان العرب ١٣/١٤، مادة (أ ت ي) ،٥١/١ ، مادة : (ج ي أ) .

٢) القاموس المحيط : تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ،ص٣٦،مادة : (ج ي أ) وص١٢٥٧ مادة :(أ ت ي)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي ، نشر: المكتبة العلمية – بيروت: ٣/١، مادة :(أ ت ي) ، ١١٦/١ مادة : (ج ي أ).

٣) المفردات :ص ٦٠:مادة : (أ ت ي) .

٤) المصدر السابق :ص٢١٢ ، مادة (ج ي أ) .

وباستقراء المواضع التي وردت فيها كلمة (أتى) في آيات غزوة تبوك ،نجد أنها جاءت في السياق الدال على المجيء بسهولة ، وباعتبار القصد وإن لم يكن قد حصل .

يقول الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾[١].

فاستخدم القرآن الكريم في هذه الآية الفعل (يأتون) دون (يجيئون) لبيان أن إتيان المنافقين للصلاة كان إتيانا سهلا ليس عن عزيمة ونشاط لتهاونهم بشأنها وشك في أمرها ، وإن كان إتيانهم عن قصد – وهو ما يفيده فعل الإتيان أن يكون عن قصد – لكن دون حصول أدنى شئ من الثواب لإتيانهم الصلاة رياء أو تِقية للمسلمين ،إذ الغرض من الصلاة ليس حصول إتيانها فقط ،بل حصول الثواب والأجر من المولى عز وجل ، وهذا ما يفيده فعل الإتيان دون فعل المجيء في هذا السياق .

كما ورد الفعل (أتى) في سياق الحديث عن أصحاب الأعذار المقبولة من الضعفاء والمرضى، والذين أتوا رسول الله ﷺليحملهم علي الرواحل التي يركبونها ليخرجوا معه إلى الجهاد في سبيل الله.يقول الله تعالى:﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾}[٢].

فقد استعمل القرآن في هذه الثانية الفعل (أتوك) لأن إتيان أصحاب الأعذار إلى رسول الله ﷺكان إتيانا سهلا ليس فيه أدني عناء فهم يأتون رسول الله مسرعين ،ونفوسهم حريصة ومشتاقة لإعطائهم الرواحل التي يركبونها ،ويحملون عليها سلاحهم ليخرجوا معه إلي الجهادأماالفعل (جاء)

---

١) التوبة من الآية : ٥٤

٢) التوبة الآية :٩١ :٩٢ .

فيستعمل لما فيه صعوبة ومشقة ، وفي تمام الإتيان وتحققه وحصوله ، ولذا دائما ما يأتي ملازما لحالة واحدة وهي الزمن الماضي. يقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾[1].

ففي هذه الآية أتى القرآن بالفعل (جاء) ولم يأت بالفعل (أتى) لبيان تحقق وحصول مجيئهم للمعذرة ولأن مجيئهم بالأعذار عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، كان مجيئا صعبا شاقا وليس أمرا سهلا .

وفي نهاية القول لايصح أن يقال إن الإتيان والمجيء بمعنى واحد ، وإنما يشتركان في معني عام هو القدوم والإقبال ،غير أن بينهما فروقا دلالية تتبين من خلال السياق القرآني ، وتتلخص فيما يلي :(الإتيان) يغلب عليه أن يكون في المجيء الذي فيه سهولة ، وأنه يقال باعتبار القصد ، وإن لم يكن منه الحصول ، بينما (المجيء) يأتي لما فيه صعوبة ومشقة ، ويقال بإعتبار الحصول لذا يأتي دائما ملازما لحالة واحدة وهي الزمن الماضي) فقط .

٢- تولى – أعرض

يفسر أصحاب المعاجم أن الإعراض والتولي بمعنى واحد فهما عندهم على الترادف فلا فرق بينهما ،قالابن فارس وابن منظور": أعرض عن الشيء: تَوَلَّى عنه وأَوْلاه عُرْضَه، أى جانِبَه، أو أَوْلاه ظهره ونَأى عنه بعارضته أى بوجهه [2] .

---

١) التوبة من الآية :٩٠ .

٢) مقاييس اللغة:٤/٢٧٢،٢٧١،مادة:(ع ر ض) ، ولسان العرب : ٦/١٧٦ ، مادة: (ع ر ض).

وعن التولي قال ابن منظور ": تولَّى عن الشيء: أعرض وانصرف" [١].

وقال الإمام الراغب الأصفهاني:"والتولي قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار"[٢].

ومن المفسرين كالقرطبي وغيره من ذكر أن"الإعراض والتولي بمعنى واحد، وقيل: التولي بالجسم، والإعراض بالقلب"[٣].

وقد فرق أبو البقاء الكفوي بين التولي والإعراض حيث قال:" الإِعْرَاض: وهو أن تولي الشيء عرضك أَي جَانبك وَلَا تقبل عليه، والتولي: الإعراض مُطلقًا وَلَا يلْزمه الادبار ....، والتولي: قد يكون لحَاجَة تدعو إِلَى الِانصِرَاف مع ثُبُوت العقد،والإعراض:الانصراف عن الشيءبالقلب"[٤] .

والمتأمل في سياق آيات غزوة تبوك يجد أن التولي قد جاء بالمعنى المادي وهو (الانصراف والتباعد) بالجسد فقط كما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾[٥].

---

١) لسان العرب:٤١٥/١٥ ، مادة :(و ل ى) .

٢)المفردات :ص٨٨٦ ، مادة : (و ل ي) .

٣) الجامع لأحكام القرآن، ١٧/٢ ، وفتح القدير، ١٢٧/١، فتح البيان ، ٢١٤/١، وروح المعاني ، للألوسي ١١١/٣

٤)الكليات : معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء الكفوي ،تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٩٩٣م : ص٢٨ .

٥) التوبة الآية :٥٠ .

قال الإمام القِنَّوجِي:"قوله:{فَرِحُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ}أي رجعوا إلى أهلهم عن مقامات الاجتماع ومواطن التحدث حال كونهم فرحين بالمصيبة التي أصابت المؤمنين وبما صنعوا من أخذ الأمر، وبما أصابه ﷺ"[1].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾[2].أما عن لفظ الإعراض بالمعنى المعنوي ، فقد جاء في سياق أمراللهتعالى المؤمنين بالإعراضعن المنافقين أصحاب الأعذار الكاذبة بالأيمان الكافرة **في قوله تعالى:**﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾}[3].

"قوله فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ تعليل لوجوب الإعراض عنهم، لا على سبيل الصفح والعفو، بل على سبيل الإهمال والترك والاحتقار"[4].

ومن خلال ما سبق يتضح أن "التولي" و"الإعراض"يشتركان في معنى عام هو (الانصراف والترك) ويفترقان في أن التولي يكون للمعنى المادي (الإعراض بالجسد) أو المادي والمعنوي معا ، أما الإعراض فلا يكون إلا للمعنى المعنوي فقط كأن يكون الإعراض بالقلب ،والدليل على ذلك أن الله قال في شأن بني إسرائيل بعد أن بين لهم الأحكام ، وأخذ عليهم المواثيق: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[5]. ففي هذه الآية بين الله

---

١) فتح البيان ، ٣١٨/٥ .

٢) التوبة من الآية : ٩٢ .

٣) التوبة الآية : ٩٥ .

٤)التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٣٨٤/٦ .

٥) البقرة من الآية : ٨٣.

عزوجل أن انصراف بني اسرائيل عن الأحكام كان بالجسد لذا استخدم الفعل (توليتم) ،كما كان بالقلب لذا استخدم اسم الفاعل (معرضون).

٣- النبأ – الخبر

تدور مادة (خ ب ر) في اللغة حول معنى : العلم بالشيء[١].

وأصل مادة (ن ب أ) في اللغة :"الانتقال من مكان إلى مكان ، ومنه النبأ: الخبر، لأنه يأتي من مكان إلى مكان "[٢].

وفي المفردات :" النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حيث تضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب، كالتواتر، وخبر –الله تعالى–، وخبر النبي –عليه الصلاة والسلام– ولتضمن النبإ معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا كقولك: أخبرته بكذا، ولتضمنه معنى العلم قيل: أنبأته كذا، كقولك: أعلمته كذا [٣].

وباستقراء المواضع التي ورد فيها لفظي (النبأ – الخبر)في آيات غزوة تبوك نجد اجتماع اللفظين في موضع واحد مما يشير إلى عدم ترادف اللفظين وذلك في سياق إعلام الله عزوجل لرسوله محمد ﷺبأخبار المنافقين الكاذبة ،بأنهم سيعتذرون له فور رجوعه إليهم من تبوك.

---

١) مقاييس اللغة:٣/٢٣٩،مادة : (خ ب ر).

٢) المصدر السابق :٥/٣٨٥ ، مادة :(ن ب أ).

٣) المفردات : للراغب : ص٧٨٩،مادة: (ن ب أ) ، تاج العروس من جواهر القاموس:الزَّبيدي ، دار الهداية:١/٤٤٣ ، مادة :(ن ب أ).

يقول الله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾[1].

قال الإمام ابن عاشور :" الإنباء الإخبار بالنبأ الصادق المحقق الوقوع وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة والأهمية بحيث يحرص السامعون على اكتسابه، ولذلك تضمن الإنباء معنى الإعلام الصادق اليقيني لأن المخبر به يعد مما يعلم ويعتقد بوجه أخص من اعتقاد مطلق الخبر، فهو أخص من الخبر"[2].

ومن خلال ما سبق يتبين أن لفظي(النبأ – الخبر) بينهما تقارب دلالي حيث يشتركان في معنى عام هو العلم بالشئ ويختص كل منهما بملمح دلالي يميزه عن الآخر :

فالنبأ يتميز بأنه الخبر اليقيني ذو الفائدة العظيمة ، وذو أهمية مع الصدق ، اما الخبر فهو القول الذي يحتمل الصدق أو الكذب ، وقد يكون عظيما وغير عظيم ،و" إذا كان الخبر شيئا عظيما له قدر فحقه أن يتوقف فيه، وإن علم وغلب صحته على الظن حتى يعاد النظر فيه، ويتبين فضل تبين"[3].

٤ – رءوف – رحيم

"الرأفة : الرحمة ، وقيل الرأفة : أشد الرحمة، ومن صفات الله عز وجل : الرّءوف ، وهو الرحيم لعباده ، العطوف عليهم بألطافه ، والرأفة أخص من الرحمة وأرق"[4].

---

١) التوبة من الآية :٩٤

٢) التحريروالتنوير ، ٤١٢/١

٣) المفردات :ص٧٨٩،مادة:(ن ب أ).

٤) لسان العرب:١١٢/٩ مادة: (ر أ ف).

" الرحمة : الرّقة والتَعطُّف ، والرحمة في بني آدم عند العرب : رِقَّةُ القلب وعَطْفه، ورحمة الله: عَطْفُه وإحسانُه ورِزقُه"[١].

ويفرق أبو هلال العسكري بين اللفظين بقوله :" الرأفة أبلغ من الرحمة ، وبهذا قال أبو عبيدة :"إن في قوله تعالى:﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تقديمًا وتأخيرًا، أراد أن التوكيد يكون في الأبلغ في المعنى فإذا انعدم الأبلغ في اللفظ كان المعنى مؤخرًا.....، والرحمة هي الإنعام على المحتاج إليه والرحمة : فعل الراحم "[٢] .

وقد اجتمع اللفظان معا(رءوف – رحيم) في آيات غزوة تبوك في قول الله تعالى:﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] .

قال الإمام بن عاشور:" والرءوف الرحيم صفتان مشبهتان مشتقة أولاهما من الرأفة والثانية من الرحمة. والرأفة مفسرة بالرحمة في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللغة وعليه درج الزجاج وخص المحققون من أهل اللغة الرأفة بمعنى رحمة خاصة، فقال أبو عمرو بن العلاء الرأفة أكثر من الرحمة أي أقوى أي هي رحمة قوية، وهو معنى قول الجوهري الرأفة أشد الرحمة ...، وأما الرحمة فاسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام "[٤].

---

١) المصدرنفسه:٢٣١/١٢ مادة: (ر ح م) .

٢) الفروق اللغوية:لأبي هلال العسكري ، تحقيق وتعليق : محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة : ص ١٩٦ .

٣) التوبة الآية: ١١٧ .

٤) التحرير والتنوير: ٢٥/٢.

ويقول الإمام بن عاشورفي موضع آخر:"الرحمة هي الإنعام على المحتاج إليه . والرحمة : فعل الراحم،والرأفة: رقة تنشأ عند حدوث ضُر بالمرْءوف به، يقال : رؤوف رحيم ، والرحمة : رقة تقتضي الإحسان للمرحوم ، بينهما عموم وخصوص، مُطْلق"(١).

كما اجتمع اللفظان معا (رءوف – رحيم) في غيرآيات غزوة تبوك من ذلك قول الله تعالى في صفة النبي محمدﷺ:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

يقول الإمام البقاعي:"﴿رَءُوفٌ﴾أي شديد الرحمة لمن له منه عاطفة وصلة"(٣).

ومن خلال ما سبق يستخلص أن(رءوف – رحيم) يجمعهما معنى عام هو العطف لكن تتميز دلالة كل منهما بملامح وصفات فارقة هي :

١– الرأفة أشد الرحمة، فهي أخص من الرحمة لأن الرأفة تدل على الرحمة القوية التي تُعْطَى لمن يستحقها ، والرأفة صفة تقتضي صرف الضُّر (دفع المكروه)، وتسند الرأفة إلى الله– عز وجل– وإلى النفس البشرية.

٢– والرحمة : فعل فاعل وهو الراحم ، وهي إنعام على المحتاج إليه ، وهي اسم جامع يشمل العطف كما يشمل النعمة والإحسان والإفضال من قِبَل المولى–عز وجل–.

---

١) المصدر السابق: ٧٣/١١.

٢) التوبة الآية: ١٢٨ .

٣)نظم الدرر:البقاعي : ٥٦/٩

ومن هنا يمكن القول بأنه لا ترادف تام أو كامل في ألفاظ القرآن الكريم لأن كل لفظ وإن كان مرادفا للفظ الآخر في كلام البشر فهو بالأحرى مختلف من جهة المعنى في القرآن الكريم تبعا لاختلاف موضعه الذي سيق فيه .

ثانيا : أثر السياق في تخير الأفعال والأسماء :

لا تقتصر أهمية السياق علي تخير الألفاظ التي بينها شبه ترادف ، ولكن الأهمية أيضا تظهر في تخير الصيغة القرآنية بما يخدم السياق ، ويؤكد على المغزى نفسه الذي يرمي السياق إلى تحقيقه ، والقرآن الكريم يزخر بالصيغ المختلفة كصيغتي الاسم والفعل ،ووصيغتي الماضي والمضارع .

وقد يرد التعبير بالاسم تارة ، وبالفعل تارة أخري ، لتحقيق غرض دلالي ، والمعلوم أن الفعل يدل على التجدد في حين يدل الاسم على الثبوت ، قال الإمام الجرجاني :" فإذا قلت: (زيد منطلق)، فقد أثبت الانطلاق فعلا له، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل وعمرو قصير). فكما لا يقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: (زيد منطلق)، لأكثر من إثباته لزيد. وأما الفعل، فإنه لايقصد فيه إلى ذلك. فإذا قلت: (زيد ها هو ذا ينطلق)، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا، وجعلته يزاوله ويزجيه"[١]. أي إن الانطلاق يتجدد منه ويحدث مرة تلو الأخرى .

١- أثر السياق في تخير بعض الأفعال :

تميزت آيات غزوة تبوك بتفضيل معنى بعض الأفعال عن بعضها الآخر ، وهذا التفضيل تعود أهميته إلى السياق الذي يسهم في تحديد دلالة كل منها،

١) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني : ص ١١٨ .

والكشف عن السبب الذي أدى إلى تخير هذا الفعل في هذا الموضع دون غيره . من ذلك

أ- اختيار القرآن الكريم الفعل (رضيتم) دون نحو (آثرتم) أو(فضلتم) في قوله **تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾[1].

"**مبالغة في الإنكار**، لأن فعل (رضي بكذا) يدل على انشراح النفس، ومنه قول أبي بكر الصديق في حديث الغار «فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ"[2][3]. "والرضا هو حب القلب، فيقال: فلان راضٍ لأنه مسرور بالحال الذي هو فيه"[4]."والمعنى: أرضيتم بالنعيم العاجل في الدنيا الزائل بدل النعيم الباقي"[5].

ب- اختار السياق القرآني الفعل (ارتاب) بدلا من (شك)

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[6] .

---

١) التوبة من الآية :٣٨ .

٢) الحديث في صحيح البخاري (٥٦٠٧) الراوي البراء بن عازب قال :قدم النبي ﷺ من مَكَّةَ وأَبُو بَكرٍ معه، قالَ أبو بَكْرٍ: مَرَرْنَا برَاعٍ وقد عطِش ﷺ قالَ أبو بَبكر رَضِيَ الله عنْه: فَحَلَبت كثْبَةً مِن لَبَنٍ في قَدَحٍ، فَشَرِبَ حتَّى رضِيت، وأَتَانَا سُرَاقَةُ بنُ جعشمٍ علَى فرس فدعا عليه، فطَلَبَ إلَيْهِ سُرَاقَةُ أنْ لا يَدْعُوَ عليه وأَنْ يَرْجِعَ، ﷺ.

٣) التحرير والتنوير، ١٠/ ١٩٨

٤) تفسير الشعراوي :للإمام محمد متولي الشعراوي ، نشر: مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧ : ٥١٠٨/٨ .

٥) البحر المحيط ، ٤١٩/٥ .

٦) التوبة الآية :٤٥ .

الريب في اللغة:"شك يصاحبه خوف وكراهة"(١).

وقال الإمام الزمخشري :"وحقيقة الريبة: قلق النفس واضطرابها. ومنه ما روى الحسن بن على قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ(٢). فإن الشك ريبة، وإنّ الصدق طمأنينة» أى فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقرّ "(٣).

ويفرق أبو هلال العسكري بين الشك والريب بقوله "إن الارتياب شك مع تهمة والشاهد أنك تقول إني شاك اليوم في المطر ولا يجوز أن تقول إني مرتاب اليوم بالمطر وتقول إني مرتاب بفلان إذا شككت في أمره واتهمته"(٤).

يتضح من كلام علمائنا أن الريب مرتبط بمعان شعورية كالخوف والكراهة والقلق والاضطراب ، وترجيح التهمة من غير دليل .

أما الشك فهو تردد الذهن بين أمرين علي حد سواء دون ترجيح لأحدهما من غير تهمة .

ومن هنا فقد عبّر القرآن الكريم في هذه الآية السالفة الذكر (بالريب) دون الشك ليوضح أن موقف المنافقين – المتخلفين عن غزوة تبوك – من الرسول ﷺ، والدين الحنيف ، ومن كل تعاليمه وتوجيهاته لم يكن موقف المتردد الحائر فقط ، وإنما موقف مصحوب بالكذب والكراهة والقلق

---

١) مقاييس اللغة ٤٦٣/٢: ، لسان العرب : ٤٤٢/١ مادة :(ر ي ب).

٢) أخرجه الترمذي في آخر الطب، والحاكم في الأحكام وفي البيوع. والطبراني والبزار. ورواه البيهقي في الشعب بلفظ «فان الشر ريبة والخير طمأنينة»

٣) الكشاف : ٣٤/١

٤) الفروق اللغوية : ٩٩/١ .

والاضطراب والخوف ، "فصاروا يشكون في صحة ما جاء به الرسول الكريم، ويقفون من تعاليمه وتوجيهاته، موقف المكذب المرتاب لا موقف المصدق المذعن.

وأضاف الشك والارتياب إلى القلوب، لأنها محل المعرفة والإيمان"(١).

وجيء بصيغة الماضي في قوله: (وارتابت)"للدلالة على قدم ذلك الارتياب ورسوخه فيهم" (٢).

"فالمنافقون في اضطراب فكري دائم لَا يستقر معه على حال ، وأنهم في تردد دائم نتيجة لريبهم"(٣).

ج . اختار القرآن الكريم الفعل (لأوضعوا) بدلا من (لسعوا) في قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ (٤).

سياق الآية يتحدث عن المفاسد المترتبة على خروج المنافقين في جيش المؤمنينإلى تبوك.

والإيضاع : الإسراع ، وهذا الفعل مختص بسير الإبل يقال: وضع البعير وضعا، إذا أسرع ، والمعنى في النص الكريم: لأسرعوا ملحقين الجيش خلاله بأسباب الفتن من نميمة ومن توهين، ومن تشكيك، وشبّه سرعة السعي بالفساد شبّه ذلك بإيضاع الإبل في عدوها، لأن كلا إجهاد، بَيْد أن سير الإبل قد يكون إلى (الخير)، أما الإيضاع هنا فهو فساد وتوهين وتخذيل،

---

١)التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٣٠٦/٦

٢) التحريروالتنوير،٢١٣/١٠ .

٣) زهرة التفاسير : لأبي زهرة ، دار الفكر العربي : ٦ /٣٣١٩ .

٤) التوبة من الآية: ٤٧ .

وسعى بنميمة"[١]. " لذلك اختير هنا ذكر الإيضاع لعزة هذا المعنى، ولما فيه من الصلاحية لتفكيك الهيئة، بأن يشبه الفاتنون بالركب، ووسائل الفتنة بالرواحل"[٢].

إذن فالسعي قد يستعمل للخير وللشر ،أما فعل الإيضاع في الآية (لأوضعوا) فهو للفساد والشر خاصة ، لهذا هو الأنسب للسياق .

ويرى الإمام البقاعي أن الله عزوجل "عبّربالإيضاع لأنه للراكب وهو أسرع من الماشي ، والإيضاع في السير يكون برفق ويكون بإسراع، والمراد به هنا الإسراع، ومادة وضع بجميع تراكيبها تدور على الحركة، وتارة تكون إلى علو وتارة إلى سفول، ويلزم ذلك السكونُ والمحلُ القابل لذلك"[٣]

د – اختار القرآن الكريم الفعل (سقطوا) دون (وقعوا) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ﴾ [٤].

لأن التعبير بالسقوط مناسب للسياق من جهة أنه – سبحانه –لما بيّن " أنهم يحترزون عن الوقوع في الفتنة، وهم في الحال ما وقعوا إلا في الفتنة، فإن أعظم أنواع الفتنة الكفر بالله ورسوله، والتمرد عن قبول التكليف"[٥]. ناسب التعبير بالفعل (سقطوا) لأنها "تنبيء عن تمكُّن وقوعهم فيها"[٦]. وتدل دلالة

---

١) زهرة التفاسير ، ٣٣٢٢/٦ .

٢) التحرير والتنوير ٢١٦/١٠ .

٣) نظم الدرر : ٤٩١/٨ .

٤)التوبة من الآية ٤٩.

٥) تفسير الفخر الرازي: ١٦٥/١٦

٦) البحر المحيط : ٥/ ٤٣٢

واضحة على"انتشابهم في أشراك الفتنة انتشاباً سريعاً بقوة فصار يعسر خلاصهم معه"[1]. و"السقطة : الوقعة الشديدة"[2].

ومن هنا يتضح أن السقوط يستعمل في تمكّن الوقوع وعسر الخلاص منه لأنه يكون شديدا ، أما الوقوع فقد يأتي الخلاص منه . لهذا كان التعبير (بسقطوا) في هذه الآية أليق بالنظم من لفظ (وقعوا).

هـ ـ اختار القرآن الكريم الفعل (يلمز) دون (يهمز).

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾[3][4]..كما ورد اللمز في غير آيات غزوة تبوك في قول الله عزوجل:{أَنفُسَكُمۡ تَلۡمِزُوٓاْ وَلَا }[5]؛لأن اللمز كما

---

١) نظم الدرر : ٨/ ٤٩٤

٢) لسان العرب ٣١٦/٧، وتاج العروس :٣٦٤/١٩مادة : (س ق ط).

٣)التوبة من الأية: ٧٩ .

٤)أخرج ابن جرير عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه: أن:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَصَدَّقُوا فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ بَعْثًا»، – أى إلى تبوك– قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: عِنْدِي أَرْبَعَةُ آلَافٍ، أَلْفَيْنِ أُقْرِضُهُمَا رَبِّي وَأَلْفَيْنِ لِعِيَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ» ، وَبَاتَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَصَابَ صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَصَبْتُ صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ صَاعٌ أُقْرِضُهُلِرَبِّي وَصَاعٌ لِعِيَالِي، قَالَ فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا: مَا أَعْطَى الَّذِي أَعْطَى ابْنُ عَوْفٍ إِلَّا رِيَاءً، وَقَالُوا: أَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ غَنِيَّيْنِ عَنْ صَاعِ هَذَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾،ينظر جامع البيان عن تأويل القرآن ، للإمام الطبري: ٤٥٢/١٦

٥)الحجرات من الآية :١١

قال الإمام ابن منظور: "هو العيب في الوجه ، والهمز هو العيب في الغيب"[١].

وقال الإمام محمد أبو زهرة :" اللمزة من يعيب في وجه من يعيبه ولو بلَحْن القول[٢]، والهمزة من يعيب في غيبه وفي غير محضره ولا يواجه من يعيبه."[٣].

وقال الإمام الشعراوي عند تفسير قول الله تعالى:﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٤]." الهمزة : هو من يعيب في الآخرين عيباً خفياً ويسخر منهم خفية، ويكون ذلك بإشارة من عينه أو بأي حركة من جوارحه ....، أما اللُّمَزة فهم العيَّابون في غيرهم في حضورهم "[٥].

ومن هنا فقد راعى السياق القرآني هذا الفارق الدلالي بين الكلمتين في الاستعمال لهما ، فاستعمل القرآن اللمز وهو الطعن والعيب في المواجهة ؛ لأن هؤلاء المنافقين كانوا يعيبون على أغنياء وفقراء المؤمنين في صدقاتهم . أما الهمز فقد ورد في قول الله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[٦].ولم يقل (لمزات) ؛ لأن مكايدة الشياطين خفية وقد جاء "الهمز واللمز"في قوله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٧] .

---

١) لسان العرب:٥/٤٠٦مادة : (ل م ز) ، (هـ م ز) .

٢)اللحن في القول هو:التعريض والإيماء وعدم التصريح بالعيب:١٣/٣٨٢

ينظراللسان:(ل ح ن).

٣) زهرة التفاسير، ٦/٣٣٣٩ .

٤) الهمزة الآية : ١

٥) تفسير الشعراوي ٩/٥٢١١ .

٦) المؤمنون الأية:٩٧

٧)الهمزة الآية : ١

والهاء في (الهمز) مهموسة ، والهمس صوت ضعيف ومكايدة الشيطان ضعيفة ، فناسب ذلك المعنى : العيب بالغيب والخفاء.

أما اللام في (اللمز) فهي صوت مجهور ، والصوت المجهور قوي ناسب ذلك المعنى : الطعن والعيب مواجهة ،فيصبح وقعها أشد .

و ـ اختار القرآن الكريم الفعل (يحلفون) بدلا من (يقسمون) .

في قوله تعالى:﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١)،وقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾(٢).

وقوله سبحانه:﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾(٣).

" لأن الحلف يستعمل في القرآن مقترنا بالكذب أو الحنث باليمين فلا يقال إلا إذا أريد الكذب أو أضمر الكذب "(٤).

لذا فجميع المواضع التي استعمل فيها الفعل (يحلف) وكلها في آيات غزوة تبوك يدل سياقها على أن اليمين غير صادقة ،فالآيات السالفة الذكر تفضح أيمان المنافقين بما سيحلفون به كذبا وزورا "واختيار صيغة المضارع في قوله: ويحلفون وقوله: يفرقون للدلالة على التجدد وأن ذلك دأبهم"(٥).

---

١) التوبة من الآية ٤٢

٢) التوبة من الأية: ٧٤

٣) التوبة الأية:٩٦ .

٤) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: د/ محمد نور الدين المنجد دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان ط ١ : ص ١٧٢ .

٥) التحرير والتنوير: ٢٣٠/١٠ .

وأما القسم فيرد في السياقات التي تدل على الأيمان الصادقة كالتي يقسم فيها الحق سبحانه بما يشاء من خلقه يقول الله تعالى:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[١]. وقوله سبحانه:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾[٢].

" وحين يسند القسم في القرآن الكريم إلى المجرمين والكافرين فإنهم في ظنهم صادقون"[٣]. قال تعالى:﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾[٤].

ز-اختار القرآن الكريم الفعل (يجاهدون) بدلا من (يخرجون)

قال تعالى:﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [٥] .

في الآية اختار القرآن الكريم الفعل (يجاهدوا)في قوله تعالى:{وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ} دون الفعل (يخرجوا) فلم يقل الحق سبحانه:(وكرهوا أن يخرجوا) وذلك لأن الفعل يجاهدوا في هذه الأية أليق للسياق "للإيذان بأن الجهاد في سبيل الله تعالى مع كونه من أجل الرغائب التي ينبغي أن يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بأقبح القبائح وهو القعود خلاف رسول الله ﷺ، وفي الكلام تعريض بالمؤمنين الذين آثروا ذلك وأحبوه "[٦].

---

١) الواقعة الآية: ٧٥ .

٢) الحاقة من الآية: ٣٨ .

٣) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق : ص١٧٤ .

٤) الأنعام من الآية ١٠٩ ، والنحل الآية ٣٨ ، والنور الآية ٥٣ ، وفاطر الآية ٤٢ .

٥) التوبة من الآية: ٨١ .

٦) روح المعاني : ٣٣٩/٥ .

ح- **اختار القرآن الكريم الفعل (يفقهون)** في قوله تعالى : ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١).

والفعل (يعلمون) في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).؛لأن الله عزوجل أراد أن يبين أنه قد ختم على قلوب المنافقين حتى انعدم عندهم أمران الفقه والعلم . ذلك لأن " نفي الفقه(٣) لا ينفي العلم ،فالفقه فهم الذات للذات ، ومن لم يفهم من نفسه فسيفهم من غيره ، ويصيب علما من الآخرين ، ولكن حين ينفى العلم (لا يعلمون) ،فإنه يفيد نفي العلم عنهم بذواتهم ، وكذلك نفي قدرتهم على العلم من غيرهم ، ومن هنا فنفي العلم أشد وأقوى أثرا من نفي الفقه فالذي تولاه هو الله –عزوجل–، ولذا جاء الفعل مبنيا للمعلوم مسندا إلى الله عزوجل " طَبع الله "إذن :نفى العلم ينسب إلي طبع الله على قلوب المنافقين ، أما نفي الفقه فينسب نسبة عامة للفعل المبني للمجهول {قُلُوبِهِمْ عَلَىٰ وَطُبِعَ}، ولذلك نجد " لا يفقهون " في موضع ، ونجد "لا يعلمون" في موضع آخر ،فكلٌ تناسب موقعها الذي قيلت فيه(٤).

---

١) التوبة الآية: ٨٧ .

٢)التوبة الآية : ٩٣ .

٣) فرق الراغب بين الفقه والعلم من حيث عموم معنى العلم وخصوص معنى الفقه بقوله "الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد وهو أخص من العلم ....، الفقه : العلم بأحكام الشريعة "المفردات :ص٦٤٢ ويفهم من تعريف الراغب أن الفقه هو القائم على الاستنباط خاصة ، وأن العلم يشمل ما كان كذلك ويشمل غيره أيضا.

٤) تفسير الشعراوي : بتصرف: ٥٤٢١/٩ .

ط- اختار القران الكريم الفعل (رجعتم)و(تردون) في قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

وفي الآية التالية مباشرة اختار الفعل (انقلبتم) في قوله تعالى:﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ (٢).

والسبب في ذلك يرجع إلى السياق القرآني في استخدام هذه الأفعال الثلاثة في هذه المواضع دون غيرها.

فالرجوع في الآية الأولى هو" المصير إلى الموضع الذي قد كان قبل"(٣). ويستخدم في عود الشئ الذي يُعتقد عودته فالآية الأولى تبين إخبار الله عزوجل لرسوله ﷺبأنه إذا رجع بالجيش إلى المدينة فإن المنافقين الذين قعدوا عن الجهاد وهم أغنياء أصحاء، سيأتون إليه معتذرين .

وأيضا من الرجوع الذي يعتقد عودته ، رجوع المؤمنين إلى الله عزوجل يقول الله تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٤).

أما الرد فهو العود-أيضا- ولكن يستخدم في عود الشئ الذي لا يعتقد عودته ، وهو إجبار الآخر على العودة ، وهذا يكون في شأن الكافر الذي لايؤمن بالعودة إلى الله -عزوجل- وسيرد مجبرا إليه سبحانه وتعالى ، وكذلك المنافق ،وإن كان يعتقد بالرجوع إلى الله -عزوجل- لكنه ثقيل ومكروه

---

١) التوبة الآية:٩٤ .

٢) التوبة من الآية:٩٥ .

٣) الفروق اللغوية : ص٣٠٣ .

٤) البقرة الآية:٢٨١

عليه ولذا قال الله عزوجل: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].ومثل ذلك قوله سبحانه في شأن الكافرين:﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾[2].

وأما الفعل (انقلب) فيطلق على الرجوع إلى المكان الذي يخرج منه لأن الراجع قد عكس حال خروجه"[3]. فيستعمل في "المصير إلى نقيض ما كان فيه قبل "[4]،تحول للشئ عن وجهه ، لذا عبّر القرآن الكريم عن الرجوع بالانقلاب في الآية الثانية﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾[5] فقال (انقلبتم) دون (رجعتم) " لأن المجاهد سائر في طريقه إلى الأمام فإذا أراد العودة انقلب من السير إلى الأمام إلى العودة إلى الوراء، والتعبير بالانقلاب يفيد العودة مختارًا غير مقهور ولا مهزوم ولا متراجع"[6].كما أن الفعل (انقلب) يوحي "بانقلاب المؤمنين على عكس ما أراد المنافقون من الإعراض عن المعاتبة، واستدامة معاملتهم معاملة المسلمين، فإذا بهم يواجهون بالإعراض عن مكالمتهم ومخالطتهم وذلك أشد مما حلفوا للتفادي عنه"[7].

---

١) التوبة من الآية:٩٤ .

٢) الأنعام من الآية: ٦٢ .

٣) التحرير والتنوير: ٥١/٩ .

٤) الفروق اللغوية : ص٣٠٣

٥) التوبة من الآية :٩٥ .

٦) زهرة التفاسير : ٧/ ٣٤١٨ .

٧) التحرير والتنوير، ٩/١١ .

كما استخدم الفعل (انقلب) في غير آيات غزوة تبوك . من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ (١) .

فالآية هنا تشير إلى ما كان من المسلمين من الاضطراب حين أرجفوا بموت الرسول ﷺ، لذا ناسب استخدام الفعل (انقلب) الذي يوحي بتحول بعض المسلمين آنذاك إلى الرجوع إلى الكفر ، وهذا بلا شك تحول ونقيض لما كان قبل من الإسلام إلى الكفر ، والمنقلب عن دينه يضر بنفسه وبالناس ، ولا يضر الله شيئا .

٢-أثر السياق في تخيربعض الأسماء دون بعض :

كما للسياق أثر في تخير الأفعال ، فكذلك له دور في تخير بعض الأسماء في بعض المواطن في آيات غزوة تبوك . ومن شواهد ذلك :

أ-"اختير وصف الفاسقين دون الكافرينفي قوله تعالى:﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(٢). لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فكانوا كالمائلين عن الإسلام إلى الكفر"(٣). ومن هنا يتبين من السياق "أن عدم القبول غير معلل بعموم كونه فسقا، بل بخصوص وصفه وهو كون ذلك الفسق كفرا "(٤).

---

١) آل عمران من الآية ١٤٤ .

٢) التوبة الآية :٥٣ .

٣) التحرير والتنوير : ١٠/ ٢٢٦ .

٤) تفسير الفخر الرازي : ١٦/ ٦٩ .

ب- اختار القرآن الكريم لفظ (الإسلام) دون (الإيمان) في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [1]. فلم يقل : وكفروا بعد إيمانهم ، وذلك موافقة للسياق " لأن ذلك لم يتجاوز ألسنتهم "[2][3]. ، فلقد أظهروا الإسلام في الصورة فقط ،ولم يدخل الإيمان في قلوبهم.

ج- اختار القرآن الكريم اللفظ (رجس) بدلا من لفظ (رجز)

في قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [4] وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[5].؛ لبيان أن المنافقين قذر أو نتن قد أدمنوا المنكرات التي لا شفاء منها ولا عودة عنها "فالمراد تشبيههم بالرجس في الدناءة ودنس النفوس. فهو رجس معنوي. كقوله سبحانه :﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾"[6][7].**والرجس في أصل معناه** " يدل على الاختلاط ،

---

١) التوبة من الآية : ٧٤ .

٢) البحر المحيط : ٥/ ٤٦٥ .

٣) روي أنه ﷺ أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد: لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً لنحن شر من الحمير، فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته .ينظر: وتفسير البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٩/٣ .

٤) التوبة الآية :٩٥.

٥) التوبة الآية :١٢٥.

٦) المائدة من الآية: ٩٠ .

٧) التحرير والتنوير : ١٠/١١ .

والقذر فيه لطخ وخلط "[١]. فالآية الأولى تتحدث عن إخبار الله عزوجل لرسوله محمد ﷺبأن المنافقين سيحلفون بالله لكم- أيها المؤمنون- إذا ما رجعتم إليهم من تبوك لتتركوهم دون مساءلة، فاجتنبوهم وأعرضوا عنهم احتقارا لهم " لأنهم «قذر» في حد ذواتهم، ولا يطهرهم شيء؛ لأن الذي يخرج من القذارة يكون مثلها؛ فهم خباثة لا يطهرها لَوْم أو توبيخ " [٢].

والآية الثانية أيضا اختار لقرآن الكريم التعبير عن المنافقين بزيادة الرجس على رجسهم ليوضح حقيقة أن الذين في قلوبهم شك ونفاق زادهم نزول السورة كفرا على كفرهم ؛ لأن الكفر أصبح متأصلا فيهم فلا يرجعون عنه " وسمى سبحانه الكفر رجسا ؛ لأنه أقبح الأشياء وأسوؤها"[٣]. ومن هنا فقد جاء لفظ (الرجس) في الآيتين مناسبا للسياق الذي قيل فيه.

وأما الرجز فلا يخرج عن معنى العذاب [٤]، وذلك لما يتصور فيه من اضطراب كالزلزلة ،وهو مأخوذ من ارتجاز السماء بالرعد ؛أي: اضطرابها ، وكذلك الرجز داء يصيب الإبل في أعجازها ، فإذا ثارت الناقة ارتعشت فخذاها ، فاستعمل في العذاب لما فيه من حركة وجلبة ، لأن العذاب النازل لابد فيه للمنزول بهم من أن يضطربوا ويجلّبوا [٥].

قال تعالى:﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[٦].

---

١) مقاييس اللغة :٢/٤٩٠، مادة: (ر ج س) .

٢) تفسير الشعراوي ٩/٥٤٣٠ .

٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٦/٤٣١ .

٤) جامع البيان ، ١/٣٠٦ .

٥) مقاييس اللغة :مادة :٢/٤٨٩،مادة: (ر ج س).

٦) البقرة من الآية : ٥٩ .

وقولـــــه تعـــــالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[1].

كذلك نجد في الزاي في (الرجز) صفة الجهر ، والجهر قوة في الحرف تناسب معني (العذاب) أما (السين) في (الرجس) فهي مهموسة ، والهمس ليس في معناه شدة وقوة وهو القذر والنتن كما في الزاي (الرجز) وهو العذاب ، هذا بالإضافة إلى أن الصفير في (السين) أدى إلى إحداث ضرب من النغم يمتاز بشدة وقعه على الأسماع وفي هذا تناسب مع التهديد والوعيد الذي ينضوي عليه النص .

-إيثار تخير بعض مشتقات الاسم دون بعض

أ- اختار القرآن الكريم (الانبعاث) بدلا من(البعث) .

في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾[2]. أصل البعث: "إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث"[3]. "وسمع من العرب من يقول: "لَوْ دُعِينا لانْدَعَيْنا". وتقول: "انْبَعَثَ انبِعاثاً" أي: "بَعَثْتُهُ" فـ"انْبَعَثَ انْبِعاثاً" وتقول: "انْقُطِعَ بِهِ" اذا تكلم فانقطع به ولا تقول "قُطِعَ بِهِ"[4]. والمعنى : "كره الله نهوضهم وانطلاقهم للخروج بنشاط وهمة وخفة ، تقول: بعثت البعير فانبعث إذا أثرته للقيام والسير بسرعة."[5]. لذا جاء التعبير في الآية

---

١) العنكبوت من الآية : ٣٤ .

٢) التوبة من الآية : ٤٦ .

٣) المفردات :ص١٣٢، مادة: (ب ع ث) .

٤) معاني القرآن : الأخفش ، تحقيق : د/ هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م : ٣٥٨/١ .

٥)التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٣٠٧/٦ .

بالانبعاث دون البعث " لأن الانبعاث هو الانطلاق في خفة ونشاط، وفيه إشارة إلى أن ذلك هو الذي ينبغى أن يكون من المجاهدين فى وجهتهم نحو العدوّ، وهؤلاء المنافقون لم يكن منهم إلا مجرد الحركة لذلك ثبّطهم لفساد نياتهم"(١).

ب- اختيار لفظ"المخلفون"دون لفظ "المتخلفون"وكذلك لفظ"خلاف"دون لفظ"خلف" قال تعالى:﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٢).

في هذه الآية اختار القرآن الكريم التعبير بـ (المُخَلَّفُونَ) دون التعبير بـ (المتخلفون) كما اختار لفظ (خِلَافَ) دون(خَلْف).

أما عن اختيار لفظ(المُخَلَّفُونَ) فلأنه يتناسب مع السياق فسياق الآية في "الذين تخلفوا عن غزوة تبوك استأذنوا النبي ﷺفأذن لهم وكانوا من المنافقين فلذلك أطلق عليهم في الآية وصف المخلفين بصيغة اسم المفعول لأن النبي خلفهم، وفيه إيماء إلى أنه ما أذن لهم في التخلف إلا لعلمه بفساد قلوبهم، وأنهم لا يغنون عن المسلمين شيئا كما قال الله عزوجل:﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾(٣). وذِكْر فرحهم دلالة على نفاقهم لأنهم لو كانوا مؤمنين لكان التخلف نكدا عليهم ونغصا كما وقع للثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم"(٤).

---

١) التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ط١ ، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م : ٧٩١/٥ .

٢) التوبة من الآية :٨١ .

٣) التوبة من الأية : ٤٧ .

٤) التحرير والتنوير: ٢٨٠/١٠ .

وعلى هذا "فالتعبير بقوله: الْمُخَلَّفُونَ تحقير لهم، وإهمال لشأنهم، حتى لكأنهم شيء من سقط المتاع الذي يخلف ويترك ويهمل لأنه لا قيمة له، أو لأن ضرره أكبر من نفعه"(١).

قال الإمام القرطبي :" الْمُخَلَّف المتروك، أي خَلَّفَهُم الله وَثَبَّطَهُم، أو خَلَّفَهُم رسول اللهﷺ والمؤمنون لما علموا تثاقلهم عن الجهاد"(٢).

وأما سبب اختيار لفظ (خِلَاف)دون (خَلْف) "فلأنه يشير إلى أن قعودهم كان مخالفة لإرادة رسول الله حين استنفر الناس كلهم للغزو. ولذلك جعله بعض المفسرين منصوبا على المفعول له، أي بمقعدهم لمخالفة أمر الرسولﷺ" (٣).

- **إيثار اسم الموصول دون الاسم الظاهر** في قوله تعالى:﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾(٤).

يقول صاحب التحرير والتنوير:" العدول إلى التعبير بالموصول في قوله: ما تحذرون دون أن يقال: إن الله مخرج سورة تنبئكم بما في قلوبكم: لأن الأهم من تهديدهم هو إظهار سرائرهم لا إنزال السورة، فذكر الصلة واف بالأمرين: إظهار سرائرهم، وكونه في سورة تنزل، وهو أنكى لهم، ففيه إيجاز بديع "(٥).

---

١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٦/ ٣٦٦ .

٢) الجامع لأحكام القرآن : ٨/٢١٦

٣) التحرير والتنوير: ١٠/٢٨٠ .

٤) التوبة الآية:، ٦٤ .

٥) التحرير والتنوير : ١٠/ ٢٤٩ .

- اختيار ضمير المتكلم (نا) دون الياء

اختار القرآن الكريم التعبير بـ(نَبَّأَنَا) (نا) الدالة على الجمع بدلا من (نَبَّأَني) ياء المتكلم المفرد في قوله تعالى:﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾[١] " للإشعار بأن الله- تعالى- قد أمر رسوله ﷺأن يبلغ المؤمنين بأحوال هؤلاء المنافقين حتى يكونوا على بينة من أمرهم "[٢].

ثالثا : **أثر السياق في تخير الحروف** :

كما كان للسياق دور في اختيار الأفعال والأسماء في آيات غزوة تبوك، كذلك كان له دور كبير في تخير بعض الحروف التي تسهم في تحديد الدلالة ، والتعبير عن المعنى العظيم ،ولا تقل أهمية عن الفعل والاسم .

ا- أثر السياق في تخير الصوامت (السواكن)

أ-اختار السياق القرآني الحرف(من) والحرف(في) في قول الله تعالى: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣]. أتى القرآن بحرف (من) في قوله :(مِنَ الْآخِرَةِ) لبيان أفضلية الآخرة على الدنيا "فهي للبدل: أي كيف ترضون بالحياة الدنيا بدلا عن الآخرة.ومثل ذلك لا يرضى به والمراد بالحياة الدنيا، وبالآخرة: منافعهما، فإنهم لما حاولوا التخلف عن الجهاد قد آثروا الراحة في الدنيا على الثواب الحاصل للمجاهدين في الآخرة"[٤].

---

١) التوبة من الآية: ٩٤ .

٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٦/ ٣٨٣ .

٣) التوبة من الآية : ٣٨ .

٤) التحرير والتنوير : ١٠/١٩٥ .

وأما عن (في) من قوله: (فِي الْآخِرَةِ) فهو أيضا مناسب للسياق وذلك لأن السياق في الحديث عن متاع الحياة الدنيا القليل بجانب متاع اللآخرة الباقي ، ونعيمها الخالد فهي"تدل على معنى المقايسة، وقد جعلوا المقايسة من معاني في"[1].

وقال الإمام الألوسي :"تسمى بفي القياسية . لأن المقيس يوضع في جنب ما يقاس به، وفي ترشح الحياة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة ورفعتها"[2].

ب – اختار السياق القرآني حرف (في) بدلا من (مع) في قوله تعالى:﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[3]. ولم يقل القرآن الكريم (لو خرجوا معكم)،كما ورد في قوله تعالى: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾[4]. ، ذلك لأن سياق الآية يتحدث عن نشر الاضطراب ، والشر والفتنة في صفوف المؤمنين من قِبَل المنافقين في حالة لو خرجوا فيهم إلى الجهاد.

وبالتالي فإن الحرف(في) يوحي بدلالة أن المنافقين "سيدخلون في الفُرج بين المؤمنين ليبلبلوا أفكارهم. أي إن الحرف"في" يدل على الظرفية . ومن هنا فإن كلمة فيكم أفادت مبالغة التحام تغلغل الظرف في المظروف . ولذلك قال الحق سبحانه وتعالَى في موضع آخر من القرآن بما يوضح لنا الظرف

---

١) المصدر السابق : ص١٩٨ .

٢) روح المعاني : ٥ /٢٨٧ .

٣) التوبة من الآية:٤٧ .

٤) التوبة من الآية : ٤٢ .

والمظروف وذلك قوله عزوجل: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ﴾[١]...، معناه: أن عملية الصَّلْب ستتم بقوة بحيث تدخل أجزاء من جسم المصلوب في المصلوب فيه لذلك آثر الحرف "في" بدل الحرف "على"[٢].

كذلك "جيء بحرف "في" من قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾الدال على الظرفية دون حرف (من) فلم يقل (ومنكم سماعون لهم أو ومنهم سماعون)، لئلا يتوهم تخصيص السماعين بجماعة من أحد الفريقين دون الآخر لأن المقصود أن السماعين لهم فريقان فريق منالمؤمنين وفريق من المنافقين أنفسهم مبثوثون بين المؤمنين لإلقاء الأراجيف والفتنة وهم الأكثر فكان اجتلاب حرف (في) إيفاء بحق هذا الإيجاز البديع ولأن ذلك هوالملائم لمحملي لفظ سماعون فقد حصلت به فائدتان"[٣].

ج- قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٥].

في الأية الأولى اختار القرآن الكريم الفاء الدالة على السببية (فَلَا تُعْجِبْكَ) بينما اختار في الآية الثانية **واو العطف** (وَلَا تُعْجِبْكَ) بدلا من الفاء ؛ "وذلك لأن الفاء في الآية الأولى في السياق تتضمن معنى الجزاء والفعل الذي قبله

---

١) طه من الآية : ٧١ .

٢) تفسير الشعراوي : بتصرف ، ١٦٢/٩،١٦٣ .

٣) التحرير والتنوير، ٢١٨/١٠ .

٤) التوبة الآية : ٥٥ .

٥) التوبة الآية : ٨٥ .

مستقبل يتضمن معنى الشرط وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[1].،أي إن يكن منهم ذلك فما جزاؤهم فكان الفاء ههنا أحسن موقعا، وأما العطف بالواو في الآية الثانية فلأنه قد جاء قبلها قوله تعالى: ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2]. بلفظ الماضي والماضي لا يتضمن معنى الشرط ولا يقع من الميّت فعل فكان الواو أحسن"[3].

وفي الآية الأولى أيضا اختار القرآن " رَبْط الفعلين (يريد) و (يعذبهم) "باللام" ؛ لأن مفعول (يريد) محذوف تقديره : إنما يريد الله ذلك (أي : أموالهم وأولادهم)؛ لأجل تعذيبهم في حياتهم بما يصيبهم من جرّاء فقدها، بينما في الآية الثانية اختار رَبْط الفعلين (يريد)و (يعذبهم)بالحرف "أن" ؛ لأن الأفعال السابقة عليه في الآية قبلها ماضية وهو قوله تعالى:(كَفَرُوا، وَمَاتُوا) والماضي لا يصلح للشرط"[4].

د- من ذلك اختيار القرآن للحرف (من)التي هي للجنس في قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾[5]. بينما اختار الاسم (أولياء) الذي يدل على الولاية والنصرة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

---

١) التوبة من الآية :٥٤ .

٢) التوبة من الآية : ٨٤ .

٥) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان : برهان الدين الكرماني ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، نشر: دار الفضيلة : ص١٣٥ .

٤) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم :د/ محمد داود ، دار غريب ،٢٠٠٨م : ص ٥٣٩ .

٥) التوبة من الآية : ٦٧ .

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾(١).

" وذلك لأن المنافقين ليسوا متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة، فكان بعضهم يهود وبعضهم مشركين فقال: (مِنْ بَعْضٍ) أنفى الكفر والنفاق فهم متجانسون، والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام وشريعته الظاهرة، فقال الله عزوجل{ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}في النصرة وفي اجتماع القلوب على دينهم ؛ولذلك قال تعالى في المؤمنين ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٢). وقال في المنافقين: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾"(٣)(٤) .

"فالتعبير في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض، للإشارة إلى أن اللُّحْمَةالجامعة بينهم هي ولاية الإسلام، فهم فيها على السواء ليس واحد منهم مقلدا للآخر ولا تابعا له على غير بصيرة ،لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين فكأن بعضهم ناشئا من بعض في مذامهم "(٥).

---

١) التوبة من الآية : ٧١ .

٢) الحجرات من الآية : ١٠ .

٣)الحشر من الآية : ١٤ .

(٤الموسوعة القرآنية : إبراهيم بن إسماعيل الأبياري ،مؤسسة سجل العرب ، ، ١٤٠٥ هـ : ٢٩٣/٢ ، ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم : د/ محمد داود : ص ٥٤٥

٥) التحرير والتنوير : ٢٦٢/١٠ .

والإتيان بالسين في قوله:{سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ} التي تدل على استقبال الفعل أليق بالسياق لأنه " لما كانت الرحمة هنا عبارة عما يترتب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب والعقاب في الآخرة، أتى بالسين التي تدل على استقبال الفعل إن الله عزيز غالب على كل شيء، قادر عليه "[1].

وقال الإمام الزمخشري:" السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد في قولك: سأنتقم منك يوماً، تعنى أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك . ونحوه {وُدًّا ٱلرَّحْمَـٰنُ لَهُمْ سَيَجْعَلُ}، أي إنه سبحانه عَزِيزٌ غالب على كل شيء قادر عليه، فهو يقدر على الثواب والعقاب حَكِيمٌ واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق "[2].

هـ- اختار السياق القرآني حرف (عن) بدلا من (من) في قوله تعالى:﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[3]. كذلك ورد قوله تعالى :﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[4].

" ومعنى التوبة، أن ذنباً قد حدث، واستوجب المذنب العقوبة، فإذا قَبل الله التوبة، فقد تجاوز الله عن العقوبة؛ ولذلك جاء القول من الحق محدداً:﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: متجاوزاً بقبول التوبة عن

---

١) البحر المحيط : ٥/ ٤٦٠ .

٢) الكشاف : ٢/ ٢٨٩ .

٣) التوبة من الآية: ١٠٤ .

٤) الشورى من الآية ٢٥ .

العقوبة"[١].فالحرف "عن" يفيد المجاوزة . والحرف "من" يفيض التبعيض أو البداية . فالمناسب هنا "عن" وليس "من" .

و- اختار السياق القرآني حرف(عن) بدلا من(في)في قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[٢]. ولم يقل القرآن الكريم (ولا يرغبوا بأنفسهم في نفسه)،ذلك لأن الرغبة تتعدّى بحرف (في) وبحرف (عن) " فإن قلت: (رغبت في) كان الميل القلبي إلى ممارسة الفعل وفيها التغلغل، أما إن قلت: «رغبت عن» وفيها التجاوز، هذا يعني أن الميل القلبي يهدف إلى الابتعاد عن الفعل، قال تعالى:﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[٣]. إذًا: فحرف الجر هو الذي يحدِّد لون الميل القلبي.

فقول الحق سبحانه:{ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ}يفيد أنهم زهدوا في أمر صدر عن رسول الله ﷺ وفضَّلوا أمر نفوسهم على أمر رسول الله، فبين الحق لهم أنهم ما كان لهم أن يفعلوا ذلك؛ لأنكم ما دمتم آمنتم بالله، فإيمانكم لا يكمل حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليكم من نفوسكم"[٤].

ز- **اختار السياق القرآني حرف (إلى) بدلا من (مع)** في قوله تعالى:﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[٥].ولم يقل القرآن الكريم (مع رجسهم)،كما ورد في شأن المؤمنين:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى

---

١) تفسير الشعراوي، ٥٤٧٩/٩ .

٢) التوبة من الآية : ١٢٠ .

٣) مريم من الآية : ٤٦ .

٤) تفسير الشعراوي : ٥٥٦٣/٩ .

٥) التوبة من الآية : ١٢٥.

﴿قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [1]. لبيان أن رجس المنافقين قد وصل بهم نهايته فتمكن منهم حتى إلى موتهم ، وهذا ما يفيده حرف الجر إلى " انتهاء الغاية " .

أما إيثار حرف (مع) في شأن المؤمنين فلبيان أن " قوة الإيمان الراسخة عند المؤمنين بمنزلة إيمان آخر دخل على الإيمان الأسبق لأن الواحد من أفراد الجنس إذا انضم إلى أفراد أخر زادها قوة فلذلك علق بالإيمان ظرف مع "[2].

٢- أثر السياق في تخير الصوائت (الحركات) :

أ-(بَعُد ، وبَعِد):

لم تفرق المعاجم اللغوية بين الفعلين ، قال الإمام ابن فارس:" البُعْدُ خلاف القُرْب، وَالبُعْدُ وَالبَعَدُ الهَلَاكُ. وقالوا في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥] ،أي: هَلَكَتْ. وقياس ذلك واحد."[3]. يريد: أن الهلاك بُعْدٌ للهالك. وفي لسان العرب : " البُعْدُ: خلاف القرب. بَعُد الرَّجل، بالضم، وبَعِد، بالكسر، بُعْداً وبَعَداً، فَهُوَ بِعِيدٌ"[4].

وبالتأمل في السياق الذي ورد فيه هذان الفعلان(بَعُد ، وبَعِد)نجد أن القرآن الكريم قد استخدم الفعل(بَعُد)بضم العين في آيات غزوة تبوك في سياق التعبير عن بُعد المسافة ، كما في قول الله عزوجل:﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾[5]. إذ المعنى:"لو كان

---

١) الفتح من الآية :٤ .

٢) التحرير والتنوير ، ١٥٠/٢٦ .

٣) مقاييس اللغة :٢٦٨/١،مادة : (ب ع د) .

٤) لسان العرب: مادة :٨٩/٣ مادة :(ب ع د).

٥) التوبة من الآية : ٤٢ .

الذي دعوتهم إليه يا محمد، متاعا من متع الحياة الدنيا، وسفرا سهلا قريبا، لاتبعوك فيما دعوتهم إليه، لأنه يوافق أهواءهم، ويشبع رغباتهم، ولكنهم حين عرفوا أن ما دعوتهم إليه هو الجهاد في سبيل الله وما يصحبه من أسفار شاقة. وتضحيات جسيمة.. تعلّلوا لك بالمعاذير الكاذبة، وتخلفوا عن الخروج معك، جبنا منهم، وحبا للراحة والسلام"[١].

أما الفعل (بَعِد) بكسر العين ، فأكثر ما يقال في الهلاك[٢]. قال تعالى : ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[٣].

"**قرأ السلمى:** بعُدت، بضم العين[٤]، والمعنى في البناءين واحد، وهو نقيض القرب، إلا أنهم أرادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره، فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا: وعد وأوعد"[٥] .

ومما سبق يفهم أن بين الفعلين بَعُد بالضم، وبَعِد بالكسر اختلاف في المعنى من ناحية الصيغة الصرفية ، يدل على ذلك استعمال السياق القرآني لهما ، حيث يكثر استعمال الفعل(بَعُد)بضم العين للدلالة على بُعد المسافة ، أما بَعِدَ فأكثر ما يقال في التعبير عن الهلاك .

---

١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٢٩٩/٦ .

٢) المفردات:ص١٣٣، مادة :(ب ع د) .

٣) هود من الآية : ٩٥ .

٤)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :لابن جني ،وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م : ٣٢٧/١

٥) الكشاف ، ٤٢٥/٢ .

ب- (الكَره ، والكُره):

قال الإمام الراغب:"قيل: الْكَرْهُ والْكُرْهُ واحد، نحو: الضَّعف والضُّعف، وقيل: الكَرْهُ: المشقّة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بِإِكْرَاهٍ، والكُرْهُ:ما يناله من ذاته وهو يعافه"(١).

وقال ابن منظور:" الكَره، بِالْفَتْحِ، فِعْلُ المضْطَرّ، والكُرْه، بِالضَّمِّ، فِعْلُ الْمُخْتَارِ"(٢).

وقد ورد المصدر (الكَره) بالفتح (٣) دون الضم في آيات غزوة تبوك للدلالة على المشقة والإجبار ، وعدم قبول النفس للأمر عن رضا في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(٤).

لأن سياق الآية يتحدث عن عدم قبول الله –عزوجل– نفحات المنافقين– المستأذنين في التخلف عن غزوة تبوك – سواء أنفقوا طواعية باختيارهم ، أو كراهية بإجبارهم ، كما أن الإنفاق عند المنافقين لم يكن محبة بل كرْها لهم .

قال الإمام الشعراوي:"(الكَره) بفتح الكاف: هو الشيء المكروه الذي تُحمل وتُكْرَهُ على فعله ففيه إكراه من الغير، أما «الكُره» بضم الكاف فهو الشيء الشاق،وقد يكون الشيء مكروها وهو غير شاق، وقد يكون شاقاً ولكن غير مكروه"(٥).

---

١) المفردات :ص٧٠٧ مادة : (ك ر ه) .

٢) لسان العرب:٥٣٤/١٣ مادة : (ك ر ه) ، تاج العروس :٤٨٥/٣٦ مادة : (ك ر ه)

٣)هذا على قراءة عاصم ، واختلف فيه القراء ، ولم يجمعوا إلا على ضم كلمة (الكُرْه) في سورة البقرة آية ٢١٦. ينظر: الكامل المفصل في القراءات الأربعة عشر د/أحمد عيسى المعصراوي، دار الإمام الشاطبي .

٤) التوبة الآية: ٥٣ .

٥) تفسير الشعراوي : ٩٢٥/٢ .

وقال الإمام الشعراوي في موضع آخر:" نقول لمن يقولون إن (كَرْهاً) بفتح الكاف و (كُرْهاً) بضم الكاف بمعنى واحد: لا؛ لأن (الكُرْه) بضم الكاف هو ما لا يريده الإنسان لأن فيه مشقة،و(الكَره) بفتح الكاف هو ما فيه إكراه من الغير. إذن فـ(كَرْهاً) بفتح الكاف تختلف في معناها عن (كُرْهًا) بضم الكاف"(١).

كذلك ورد (الكَرْه) بفتح الكاف في غير آيات غزوة تبوك في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ (٢).

"قرأ حمزة والكسائي{ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا } بالضم ، وقرأ الباقون بالنصب واختلف الناس في الضم والفتح قال ابن عباس من قرأ { كُرْهًا } بالضم أي بمشقة ومن قرأ {كَرْهًا} بالفتح أي إجبارا أي أجبر عليه جعل ابن عباس الكُرْه فعل الإنسان والكَرْه ما أكره عليه صاحبه تقول كرهت الشيء كرها وأكرهت على الشيء كرها "(٣).

أماالمصدر (الكُرْه) بضم الكاف فقد ورد في غير آيات غزوة تبوك للدلالة على الشدة والمشقة ، والرضا بهذه المشقة . من ذلك قول الله عزوجل:﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾(٤). وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾(٥).

---

١) المصدر السابق : ٥١٨٤/٩ .

٢) النساء من الآية : ١٩ .

٣) حجة القراءات : أبو زرعة (ت٤٠٣هـ) ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، دار الرسالة : ص١٩٥ .

٤) البقرة من الآية : ٢١٦ .

٥) الأحقاف من الآية : ١٥ .

قال الإمام ابن عاشور:" الكُرْه بالضم المشقة وَنُفْرَةُ الطبع، وبالفتح هو الإكراه وما يأتي على الإنسان من جهة غيره من الجبر على فعل ما بأذى أو مشقة"(١).

ومما سبق يتبين أن :

١- (الكَرْه)و(الكُرْه) يشتركان في ملمح الشدة والمشقة

ويتميز المصدر (الكَره) بفتح الكاف بأنه يُستخدم في سياق المشقة ، والإجبار، وعدم قبول النفس للأمر عن رضا، أما المصدر (الكُرْه) بضم الكاف ،فيستخدم في سياق كُره المشقة ، مع رضا النفس بها.

٢-التفرقة بين المصدرين جاءت عن طريق السياق لكل منهما .

ج-(الحُزْن ، والحَزَن):

لم تفرّق المعاجم اللغوية بين الكلمتين الحُزْن ، والحَزَن ، قال الإمام الراغب:" الحُزْنُ والحَزَنُ: خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل لها من الغمّ، ويضادّه الفرح"(٢).

وفي لسان العرب :"الحُزْنُ والحَزَنُ: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور. قال الأخفش: والمثالان يعتقبان هذا الضرب باطراد، والجمع أحزان"(٣).

وأما المفسرون فمنهم من ذكر أن (الحُزْن ، والحَزَن) لغتان – لهجتان –قال الإمام الفخر الرازي عند تفسير قول الله –عزوجل-:﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾(٤).

---

١) التحرير والتنوير : ٣٢٠/٢ .

٢) المفردات: ص٢٣١، مادة:(ح ز ن) .

٣) لسان العرب :١١١/١٣ ،وتاج العروس ٤١١/٣٤: مادة: (ح ز ن) .

٤) القصص من الآية : ٨ .

" قرأ حمزة والكسائي (حُزْنًا)بضم الحاء وسكون الزاي والباقون بالفتح وهما لغتان مثل السُّقْمِ وَالسَّقَمِ، يقال أصابه حُزْنٌ شديد، وَحَزَنٌ شديد، وهو مذهب أكثر أهل اللغة"(١).

ومن المفسرين كالواحدي وغيره من ذكر أن ابن عباس –رضي الله عنه– فسرّ (الحُزْن)–بضم الحاء وسكون الزاي – بالبكاء حيث قال عند قول الله تعالى﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾(٢). " قوله: (مِنَ الْحُزْنِ)قال**ابن عباس:** من البكاء، يريد أن عينيه ابيضتا لكثرة بكائه ،والحُزن لما كان سببا للبكاء جاز أن يسمي البكاء حزنا"(٣).مجاز عقلي علاقته السببية أي أن الحُزن كان سببا في البكاء .

والمتأمل في آيات غزوة تبوك يجد أن (الحَزَن) بفتح الحاء والزاي في قول الله تعالى:﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا﴾(٤). قد جاء بمعنى ضيق وغم في النفس لما يحصل فيه من أمر جلل بحيث يظل مع الإنسان مدة حياته حتى يموت

---

١) تفسير الفخر الرازي : ٥٨٠/٢٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٢/١٣ ، والدرالمصون : ٦٥١/٨ ، والتحريروالتنوير : ٧٦/٢٠ .

٢) يوسف من الآية ٨٤ .

٣) التفسير الوسيط: للواحدي،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م : ٦٢٧/٢ ، وزاد المسير في علم التفسير:لابن الجوزي ،تحقيق، عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، – ١٤٢٢ هـ : ٤٦٣/٢. ، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم : ١٢/ ٢١٤ .

٤) التوبة الآية من: ٩٢ .

ويبلى ، ويدل على استخدام تلك الدلالة لهذ اللفظ (الحَزَن) السياق القرآني ، فالآية تشير إلى نفر من صحابة رسول الله ﷺ أرادوا أن يجاهدوا معه في غزوة تبوك ، لكنهم لم يجدوا ما يركبونه فتحركت مشاعرهم بالبكاء حَزَنا دائما – إلى أن ماتوا– كيف فاتتهم تلك الغنيمة الدينية ؟!

وورد (الحَزَن)– في غير آيات غزوة تبوك – في سياق الحديث عن التقاط آل فرعون لسيدنا موسى عليه السلام حينما كان طفلا ، وجاءهم في التابوت من البحر ، وكان عاقبة هذا الالتقاط أن كان لهم عّدوا وحَزَنا أي ضاقت نفوسهم وأصبحت حياتهم غما ومعيشتهم ضنكا، يقول الله تعالى:﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾[1]. كما ورد (الحَزَن) في سياق المؤمنين الذين دخلوا الجنة فأذهب الله عنهم ما كان في الدنيا من غم وضيق لا ينقضي ولهذا قالوا﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [2].

أما (الحُزْن) بضم الحاء وسكون الزاي فهو ضيق النفس عن شئ مضى بجيث يكون مؤقتا بمدة معينة، ثم يزول وينتهي، أو هو: البكاء كما ذكر بعض المفسرين .

ويدلنا على استخدام تلك الدلالة لهذا اللفظ (الحُزْن) السياق القرآنى، في قول الله تعالى في شأن يعقوب –عليه السلام–:﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾[3]. فيوسف عليه السلام عندما فُقِد صغيرا ظلّ أبوه يعقوب عليه السلام مدة من الزمن حزينا وابيضت عيناه على فَقْده يوسف –عليه السلام–،

---

١) القصص من الآية: ٨ .

٢) فاطر من الآية: ٣٥ .

٣) يوسف من الآية: ٨٤ .

ولكن عندما عاد يوسف إلى أبيه، وتصالح مع إخوته، وارتد ليعقوب بصره زال هذا الحزن وكأنه لم يكن .

ونخلص مما سبق إلى أن الكلمتين (الحُزْن ، والحَزَن) يشتركان في معني عام هو : ضيق وغم في النفس ، ويفترقان في أن (الحَزَن) بفتح الحاء والزاي يبقى مع الأنسان مدة حياته حتى يموت ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ من الهمّ والحَزَن –وليس الحُزْن– ، أي من همٍ آت وحَزن مضى ولاينقضي .

أما (الحُزْن) بضم الحاء فيكون مؤقتا بمدة ثم ينتهي ، وقد يكون بمعنى البكاء ، والبكاء أيضا موقوت بمدة ، لأنه يكون وقت الحزن ثم ينتهي .

هـ . (طُبِعَ ، وطَبَعَ):

استعمل القرآن الكريم الفعل(طُبِعَ) بالبناء للمجهول في قوله تعالى:﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(١).

بينما جاء بالبناء للمعلوم (طَبَعَ الله) في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وذلك لأن "صدر الأية التي قبلها جاء بالبناء للمفعول " أُنْزِلَتْ سُورَةٌ " في قوله تعالى:﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾(٣).فتناسق الختام مع البدء ، بينما جاء الفعل

١) التوبة الآية: ٨٧ .

٢) التوبة الآية : ٩٣ .

٣) التوبة الآية :٨٦ .

(طَبَعَ) مبنيا للمعلوم في قوله تعالى:{ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ } لأنه لم يقع قبلها ما يقتضي البناء للمفعول فجاءت على الأصل "[1].

وذهب ابن عاشور إلى القول بأن"الطبع الأول يختلف عن الطبع الثاني ، فالطبع الأول جُبِلُوا عليه ، أما الطبع الثاني فهو طبع أنشأه الله في قلوبهم لغضبه عليهم فحرمهم النجاة من الطبع الأصلي وزادهم عماية"[2].

وذهب الإمام الشعراوي : إلى أن "الفعل قد جاء مبنيا للمعلوم منسوبا إلى الله –عزوجل– في قوله تعالى:{ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ } لأن قوله تعالى:{ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ } يفيد نفي العلم عن المنافقين بذواتهم ونفي قدرتهم على العلم من غيرهم ،وهذه أقوى أثراً، وبذلك يكون الطبع على قلوبهم أقوى، أما نفي الفقه فينسب نسبة عامة لذا جاء مبنيا للمجهول في قوله تعالى: {وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ } **أي**: لا يفهمون بذواتهم، ولكن قد يتعلمون العلم من غيرهم ، إذن: نفي العلم ينسب إلى طبع الله على قلوبهم، أما نفي الفقه فينسب نسبة عامة للفعل المبني للمجهول [3].

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح أن القرآن الكريم لا يستعمل أبدا صيغتين لمعني واحد ، فكل صيغة لها معني مغاير للمعني الآخر تبعا للسياق الوارد فيها .

---

١) البرهان في علوم القرآن : للزركشي ، ١٤٥/٣ وبذلك ناسب التصريح بالفاعل " الله عزوجل"وبناء الفعل للمعلوم .

٢) التحرير والتنوير : ٦/١١ .

٣) تفسير الشعراوي : بإيجاز وتصرف ، ٥٤٢١/٩ .

المبحث الثاني

دور السياق والصيغة الصرفية :

إن معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت منها لا تكفي لتحديد معنى الكلمة تحديدا دقيقا [١]؛ لذلك لجأ علماؤنا من مفسرين ولغويين إلى السياق ؛ ليكون أداة للكشف عن الكلمة ،ولكل مبنى أو زيادة معنى مخصوص للصيغة لذا فالسياق هو الذي يحدد المراد ويعين المقصود من الصيغ الصرفية "كما أن السياق يعطي الكلمة معنى جديدا ، فدلالة الصيغ تنتج من السياق بتتبع التغيرات التي تعتري صيغ الكلمات مما يؤدي إلى إحداث معنى جديد في الجملة أو التركيب"[٢].

وفي القرآن الكريم كل صيغة لها سياق يقتضيه ولا يستقيم المعنى إلا بها ، إذن فللسياق أثر في معرفة معاني الصيغ الصرفية وتحديدها .

أثر السياق في تحديد معاني صيغ الزوائد

تعدّ صيغ الزوائد في اللغة العربية من أهم العناصر الصرفية التي يؤدي السياق دورا بارزا في الكشف عنها.

وللسياق دور حاسم في تحديد المعنى المراد من الصيغة الزائدة ، وذلك مثل الهمزة في صيغة (أفعل) أو التاء والتضعيف في صيغة (تفعّل) وغيرها.

وفي هذا المبحث ستُدرس :

– معاني صيغ زيادات الأفعال. **– دلالة صيغ المبالغة.**

---

١) دراسات في فقه اللغة ،د.صبحي الصالح ،دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٦، ٢٠٠٤م : ص٣٢٨ .

٢) الدلالة السياقية عند اللغويين ، عواطف كنوش ،دار السياب ، لندن ،٢٠٠٧م : ص٥٨ .

وذلك في آيات غزوة تبوك بهدف الكشف عن الغاية من استدعاء السياق للصيغة الصرفية المناسبة .

أولا : معاني صيغ زيادات الأفعال.

لما كانت الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ ترتب على هذا زيادة المعاني" [1].لهذا كانت زيادة المعنى لزيادة المبنى ، وهو مقصود ابن جني من قوله:"قوة اللفظ لقوة المعنى"[2]. "وتلعب طرائق البنية واشتقاق الصيغ اللغوية دورا كبيرا في الدلالة على المعنى، فصيغ الأفعال تدل على الحدث وزمنه ،وما يتصل بها من حروف الزيادة والتوكيد واللواحق الأخرى ، وما يدخلها من التضعيف وغيره ، وكل ذلك له أثر كبير في توجيه المعنى"[3]. وسأوضح ذلك من خلال دراسة معاني صيغ الزيادة في آيات غزوة تبوك ، فيما يلي :

أ- **الأفعال المزيدة بحرف** : للفعل الثلاثي المزيد بحرف، ثلاث صيغ: (أَفْعَل ، فَاعَلَ، فَعَّلَ).

١- **صيغة أَفْعَلَ** :تستعمل هذه الصيغة للدلالة على معان منها : التعدية ، والصيرورة ، والتعريض ، والمبالغة ، وغيرها[4].

---

١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:لابنالأثير،تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة، القاهرة : ١٩٧/٢ .

٢) الخصائص لابن جني :٢/ ٢٦٨ .

٣) علم اللغة بين القديم والحديث أ.د/ عبدالغفار هلال ص ٢٠٠ .

٤) شرح شافية بن الحاجب حمد بن الحسن الرضي الإستراباذي :تحقيق:محمد نور الحسن ، محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ٨٣/١ ، وشذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد الحملاوي : تحقيق :نصر الله عبد الرحمن ، مكتبة الرشد الرياض، ص ٣٠ .

وأكثرما جاءت له صيغة (أَفْعَل) هو للدلالة على التعدية وجاءت في أفعال كثيرة للدلالة على اللزوم ، وتعتبر هذه الصيغة من أكثر صيغ الزوائد وقوعا في القرآن(١).

ومن دلالاتهذه الصيغة في آيات غزوة تبوك ما يأتي :

١. الدلالة على التعدية ومن أمثلة ذلك :الفعل:(أَخْرَج) – خَرَج :قال ابن منظور:" الخُروج نقيض الدخول خَرَجَ يْخرُجُ خُرُوجاً .. وقد أَخْرَجَهُ وخَرَجَ به ... "(٢). فالهمزة جعلته متعدياً بعد أن كان لازماً. قال تعالى:﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾(٣).

سياق الآية في الحديث عن تذكير الله سبحانه المؤمنين ، بما يعرفونه مِنتأييده ونصره لرسوله محمد ﷺحينما اضطره الذين كفروا إلى الخروج من مكة، وليس معه إلا رفيقه أبو بكر، وكان ثانى اثنين. لهذا اقتضى السياق مجيء الفعل (أخرج) بدلالة التعدية.

بينما جاء الفعل بصيغته المجردة (خرج)في قوله تعالى:﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾(٤). لأن السياق هنا في إخبارالله عن المفاسد المترتبة على خروج المنافقين في جيش المؤمنين .

---

١) دراسات لأسلوب القرآن : محمد عبدالخالق عضيمة ،ط١، دار الحديث، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م : ٣٨،٣٩/١

٢) لسان العرب٢٤٩/٢: مادة : (خ ر ج).

٣) التوبة من الآية: ٤٠

٤) التوبة من الآية : ٤٧ .

٢- الدلالة على صيرورة الشئ منسوبا إلى ما اشتق منه الفعل من ذلك الفعل : (آمَن)

قال الإمام الراغب :" ..آمن إنما يقال على وجهينِ أحدهما متعدٍ بنفسه يقال آمنته أي جعلتُ له الأمن .. والثاني غير متعدٍ ومعناه صار ذا أمنٍ والإيمان يُستعمل تارةً اسماً للشريعة .. وتارةٌ يُستعمل على سبيل المدح .. "[١].

وأفادت الزيادة معنى الصيرورة

قال تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٢].

في الآية نداء من المولى عزوجل إلى الذين صاروا مؤمنين يأمرهم بأن يتقوه حق تقاته وأن يكونوا مع الصادقين .

٢- صيغة فَاعَل :تستعمل هذه الصيغة للدلالة على معان مختلفة منها :المشاركة ، والتكثير ، والمبالغة ، وغيرها[٣].

ومن دلالات هذه الصيغة في آيات غزوة تبوك ما يأتي :

١- : الدلالة على المبالغة ببذل الوسع والطاقة من ذلك :

الفعل(جَاهَد):" الجُهْد والجَهْد في العمل ،وقيل الطاقة وجُهِد الرجل فهو مجهود من المشقة ، واجتهد : بذل الوسع والمجهود ، وجاهد العدَّو مجاهدةً وجهاداً: قاتله وجاهد في سبيلِ الله.."[٤]. فأفادت الزيادة المبالغة وبذل المزيد.

قال تعالى:﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٥].

---

١)المفردات:ص٩١، مادة : (أ م ن).

٢)التوبة الآية : ١١٩ .

٣) شرح الشافية :٩٦/١ ، وشرح ابن عقيل : تحقيق: محمد محي الدين ، دار الفكر – سوريا ،١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م :٢٦٣/٤.

٤) لسان العرب:١٣٥/٣،مادة : (ج هـ د).

٥) التوبة من الآية:٤١ .

في الآية يأمر الله تعالى المؤمنين للجهاد في سبيل الله شبابا وشيوخا في العسر واليسر، على أي حال كانوا وببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ورسوله ﷺ.ويبدو من السياق أن المعنى الذي جاءت به صيغة (جاهد) هو المبالغة وبذل المزيد . كما أنها تفيد إلى جانب هذه الدلالة معنى المشاركة .

٢- الدلالة على المشاركة ومن شواهد ذلك :

الفعل : **(قاتَل)** – قتل : قال الإمام الراغب : " أصل القتْل إزالة الرُّوح عنْ الجَسَدِ كالموْتِ لكن اذا اعتبر بفعل المتوّلى لذلك يقال قتلٌ وإذا اعتُبر بفوتِ الحياة يقال موْتٌ.. والقتلُ أعم منْ الذبح والذكاة .. "، ويقال :" ..أقتلتهُ : عرَّضته للقتل.." [١]. وأفادت الزيادة المشاركة .

قال تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ [٢].

ومن تتبع سياق الآية نجد أن المعنى الذي احتمله (تقاتلوا) في الآية هو المشاركة ففي الآية يبين الله عزوجل ما يجب على الرسول ﷺنحو هؤلاء المنافقين المخلفين الكارهين للجهاد مِن عدم الخروج مع رسول الله ﷺفي أي غزوة إذا استأذنوه ، وعدم المشاركة معه ﷺفى قتال أى عدوّ لأنهم رضوا بالقعود أول مرة، فاقعدوا مع من تخلّف من المنافقين والنساء والضعفاء من الرجال [٣].

---

١) المفردات :ص٦٥٥،مادة : (ق ت ل).

٢) التوبة الآية: ٨٣ .

٣) تفسير القرطبي : ٢١٨/٨ .

٣- **صيغة فعَّل** : تستعمل هذه الصيغة للدلالة على معان متعددة منها : التعدية ، التكثير ،صيروة شيء شبه شيء، نسبة الشيء إلي أصل الفعل، التوجه إلى الشيء، بمعنى تفعّل[١].

ومن دلالات هذه الصيغة في آيات غزوة تبوك:

١- **الدلالة على قوة الفعل والتأكيد عليه**، ومن أمثلة ذلك:

الفعل :(ثبَّط) : التثبيط ردك الإنسان عن الشيء يفعله ..،وثَبطَه عَنِ الشَّيْءِ ثَبْطاً وثَبَّطَه: رَيَّثه وثَبَّته. وثَبَّطه عَلَى الأَمر فتَثَبَّط: وقَّفَه عَلَيْهِ فتوَقَّف. وأَثْبَطه المرض إِذا لم يكد يُفارقه. وثَبَطْتُ الرجلَ ثَبْطاً: حبَسْتُه[٢].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[٣].

يُبيّنُ الله –عزوجل– حال المنافقين والمتخلفين عن الجهاد ، وكانوا ذوي قدرة على الخروج ، ولم يتأهبوا للاستعداد اللازم من السلاح والزاد والراحلة ، فكره الله نهوضهم وانطلاقهم "فثبطهم أى: فمنعهم وحبسهم، من التثبيط «وهو رد الإنسان عن الفعل الذي هَمَّ به عن طريق تعويقه عنه ومنعه منه.يقال: ثبطه تثبيطا، أى: قعد به عن الأمر الذي يريده ومنعه منه بالتخذيل ونحوه[٤].وفي صيغة (فعَّل)من المبالغة وزيادة التأكيد والقوة علىإحداثالمنعوالحبسعن الخروج من الله عزوجل ، لأنه في مقام بيان حال المنافقين والمتخلفين ، خوفاً على المؤمنين لما يعلمه الله من طبيعتهم ونفاقهم، والتشديد مع حرف الطاء فيه قوة وتأكيد في المعنى .

---

١) شرح بن عقيل: ٢٦٣/٤ ، وشذا العرف في فن الصرف : ص ٣١- ٣٢ .

٢) لسان العرب:٢٦٧/٧ ، مادة: (ث ب ط).

٣) التوبة من الآية: ٤٦ .

٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٣٠٧/٦ .

ومنه أيضا الفعل : (قلَّب) : قَلْبُ الشيء: تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه .... وتَقْلِيبُ الأمور: تدبيرها والنّظر فيها.(١).

قال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾(٢).

في الآية إخبار من الله عزوجل بسعي المنافقين بإيقاع الشرور والمفاسد في صفوف المسلمين قبل غزوة تبوك ، والاجتهاد في تدبير الحيل والمكايد في إبطال أمر رسول الله ﷺ فأحبط الله تدبيرهم ، وأظهر دينه ، "والفعل (قَلَّبُوا) بهذه المضاعفة والمبالغة يُصور حال المنافقين وقد أكثروا التقليب وترددوا في آرائهم وأعملوا المكايد والحيل للإضرار بالنبي ﷺ والمسلمين "(٣). وعلى ذلك فإن مضاعفة العين في صيغة (فعّل) قد دلت على قوة الأمر والمبالغة فيه لتحقيق الهدف المراد .

٢- تأتي فعّل للدلالة على التعدية من ذلك :

الفعل : (نبَّأَ): " وَقَدْ أَنْبَأَه إِيّاه وَبِهِ، وَكَذَلِكَ نَبَّأَه، مُتَعَدِّيَةٌ بِحَرْفٍ وَغَيْرِ حَرْفٍ ، ونَبَأْتُ عَلَى الْقَوْمِ أَنْبَأُ نَبْأً إِذَا طَلَعْتَ عَلَيْهِمْ.."(٤)."وَنَبَّأْتُهُ بِهِ أَعْلَمْتُهُ.."(٥).فالتضعيف جعلهُ متعدياً

قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ﴾(٦).

---

١) المفردات: ص٦٨٢،مادة: (ق ل ب).

٢) التوبة من الآية: ٤٨ .

٣) التحرير والتنوير ٢١٩/١٠ .

٤) لسان العرب :١٦٣/١ ، مادة :(ن ب أ).

٥) المصباح المنير:٥٩١/٢ ، مادة:(ن ب أ).

٦) التوبة من الآية : ٩٤ .

جاءت الآية الكريمة في معرض الأعذار الكاذبة من قِبل المنافقين حيث أخبر الله عزوجل رسوله محمدًا ﷺ بما سيقوله المنافقون للمؤمنين عند عوتهم من غزوة تبوك ، وقد أمر الله رسوله محمدًا ﷺ أن يبلغ المؤمنين بعدم تصديق المنافقين في أعذارهم : لأن الله قد أعلمنا بما في ضمائرهم من النفاق والمكر .ويظهر من سياق الآية السابقة أن (فعّل) نبّأ قد جاء للتعدية .

ب- الأفعال المزيدة بحرفين:للفعل الثلاثي المزيد بحرفين خمس صيغ هي: انْفَعَلَ، وافْتَعَلَ، وافعَلَّ، وتَفَعَّل ، وتَفَاعَلَ) ، وقد ورد من هذه الصيغ في آيات غزوة تبوك صيغ أربع : (انْفَعَلَ،افْتَعَلَ،تَفَعَّل،تَفَاعَلَ).

١- صيغة انْفَعَلَ: تستعمل هذه الصيغة للدلالة على المطاوعة في الفعل الثلاثي[١]. ومن أمثلة هذه الصيغة في آيات غزوة تبوك :

الفعل :(انْقَلَب)"قَلْبُ الشيء: تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه، كقلْب الثّوب، وقلب الإنسان، أي: صرفه عن طريقته، والِانْقِلابُ: الانصراف"[٢].

" والانقلاب: مطاوع قلب والقلْب تغيير الحال وتبدله،ويطلق الانقلاب شائعا على الرجوع إلى المكان الذي يخرج منه لأن الراجع قد عكس حال خروجه".[٣].

قال تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾[٤]. في الآية يخبر الله سبحانه رسوله ﷺبأن هؤلاء المنافقينسيحلفون

---

١) شرح الشافية: ١٠٨/١ ، وشرح ابن عقيل :٢٦٣/٣ ، وشذا العرف في فن الصرف : ٣٢/١ .

٢) المفردات: ص٦٨١ ،مادة: (ق ل ب).

٣) التحرير والتنوير ٥١/٩ .

٤) التوبة الآية : ٩٥ .

بالله لكم أيها المؤمنونإذا ما رجعتم إليهم من تبوك وذلك لكي تعرضوا عنهم، وقد تضمنت هذه الصيغة إلى جانب معنى المطاوعة ، معنى التحول من حال إلى حال.

٢- **صيغة افْتَعَلَ**:تستعمل هذه الصيغة للدلالة على معاني مختلفة[١]. كالمبالغة،والمطاوعة ، والطلب ،والإظهار،ومن دلالات هذه الصيغة في آيات الغزوة:

١-**الدلالة على الصيرورة أو الجْعل** من ذلك:

الفعل :**(يَتَّخِذ)** يقول الله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا﴾ [٢].

"يبيّن الله سبحانه حال فريق من منافقي الأعراب والذينيُعدون ما ينفقونه في سبيل الله غرامة وخسارة عليهم لأنهم لا ينفقون ما ينفقونه طمعا في ثواب، أو خوفا من عقاب وإنما ينفقونه تقية ورياء ومداراة للمسلمين، لا مساعدة للغزاة والمجاهدين، ولا حبا في انتصار المؤمنين"[٣].وواضح من سياق الآية أن الفعل (يتخذ) بمعنى الصيرورة أي : يُصيّر أو يجعل ما ينفقونه غرامة وخسارة ، وجاء مناسبا للسياق الذي قيل فيه .

٢- الدلالة على الطلب باجتهاد ومبالغة من ذلك:الفعل(ابْتَغَى) "بغي الشّيءَ بغية طلبه ويقال بغيت لك الأمر وبغيتك الأمر طلبته لك..،و(ابتغى) الشيء أراده وطلبه"[٤].

---

١) شرح الشافية :١٠٨/١ ، شرح ابن عقيل: ٢٦٣/٤ ، وشذا العرف في فن الصرف : ٣٣/١ .

٢) التوبة من الآية: ٩٨ .

٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم :٦/ ٣٨٨ .

٤) معجم الوسيط :٦٥/١ ، مادة :(ب غ ي) .

قال تعالى:﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾[1].

تشيير الآية إلى أن "المنافقين كانت لهم سوابق في الشر مع المؤمنين من قبل غزوة تبوك وذلك حين هاجر المؤمنون إلى المدينة ، فقد بذلوا في طلب الفتنة للمؤمنين وأعملوا الحيل في إبطال دعوتهم ، وخذلان دينهم"[2].. إذن فالسياق اختار صيغة (افتعل)=(ابتغوا) على صيغة(فعل)=(بَغَوا)في الدلالة على طلب الفتنة، وكلاهما يدل على ذلك ،إلا أن صيغة (افتعل) فيها معنى المبالغة والاجتهاد في طلب الفتنة، وليس كذلك صيغة (فعل)الواردة في بيان حال المنافقين التي ما كانت تكون عليه لو خرجوا للقتال مع المؤمنين في غزوة تبوك يقول الله تعالى:﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾[3].واختيار القرآن الكريم للصيغتين (يَبْغُونَكُم) و (ابْتَغَوا) أراد أن يبيّن أنّ مِن المنافقين مَن يطلب الفتنة للؤمنين بالتشكيك في دينهم ، والتخويف من أعدائهم ، ومنهم من بذل الجهد في طلب ذلك .

٣- الدلالة على الإظهار. مثل الفعل : (يَعْتَذِر)"من اعتذر من باب افتعل إذا مَهَّد العذر. والاعتذار: إظهار العذر بالأعذار الكاذبة"[4] . " وهو عبارةٌ عن محو أثرِ الذنبِ فإنه معلومُ الكذبِ بيّنُ البطلان"[5].

---

١) التوبة من الآية: ٤٨

٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م : ص ٣٣٩

٣) التوبة من الآية : ٤٧ .

٤) تفسير حدائق الروح والريحان : للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م :٤١/١٢ .

٥)تفسير أبي السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي – بيروت : ٨٠/٤ .

ووردت هذه الصيغة في قوله تعالى:﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾[١].

يبدو من السياق أن الآية الكريمة جاءت في معرض إظهار الأعذار الكاذبة من قِبل المنافقين ، لذا جاءت الصيغة (افتعل)(يعتذرون) لتعبر عن معنى إظهار أعذارهم الكاذبة . أي لا تبالغوا في إثبات العذر، وهو ما ينفي الملام، فإن ذلك لا يغنيكم وإن اجتهدتم.

٣. صيغة تَفَعَّلَ : وتأتى لخمسة معان:[٢].

١- مطاوعة فعّل مضعف العين ٢- الاتخاذ ٣- التكلف ٤- التجنب ٥- التدريج أو للعمل المتكررفي مهلة. ومن دلالات هذه الصيغة في آيات غزوة تبوك:

١- الدلالة على التكلف من ذلك :

الفعل : (يُتَقَبَّل) : قوله تعالى:﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٣].

سياق الآية يتحدث عن عدم قبول الله –عزوجل– نفقات المنافقين – المستأذنين في التخلف عن غزوة تبوك بسبب أنهم لم ينفقوا فى سبيل الله وإنما ينفقون مداراة لنفاقهم،ولقد ناسب السياق مجيء الفعل(يُتَقَبَّل) دون (يُقْبَل) لأن في الزيادة دلالة على تكلّف القبول أي أنه لا يمكن القبول ، فالله تعالى لا يتقبل ذلك الإنفاق مهما يكون سواء أنفقوا طواعية باختيارهم أو كراهية بإجبارهم .وفي (لن) النافية للمستقبل توكيد وتشديد على عدم قبول

---

١) التوبة من الآية : ٩٤ .

٢) شرح شافية بن الحاجب : ١٠٦/١ ، وشذا العرف :٣٣ .

٣) التوبة الآية :٥٣.

الإنفاق من المنافقين ما داموا على نفاقهم ، وفي بناء الفعل للمجهول "دلالة على أنه لا يقع تقبل لشيء يأتي من قبلكم أصلاً من أحد له أن يتقبل كائناً من كان"[١].

ومنه أيضا الفعل :(يتفقه)

"الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كما غلب النجم على الثُّرَيَّا....، وتَفَقَّه:تعاطى الفقه"[٢].

وتفقّه إذا طلبه فتخصص به .."[٣].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٤][٥].

في الآية يبين الله سبحانه ما يجب على المؤمنين إذا لم تكن المصلحة تقتضي النفير العام ،وذلك بأن ينفر بعضهم للجهاد ، وبعضهم للتفقه في

---

١) نظم الدرر ، ٨/ ٤٩٨ .

٢) لسان العرب: مادة :(ف ق ه).

٣) المفردات: مادة:(ف ق ه).

٤) التوبة الآية : ١٢٢ .

٥)أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وقد كان تخلف عنه ناس في البدو يُفقِّهون قومهم فقال المنافقون: قد بقي ناس في البوادي وقالوا: هلك أصحاب البوادي فنزلت﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾.ينظر الدر المنثور بالتفسير بالمأثور:جلال الدين السيوطي ،الناشر: دار الفكر – بيروت : ١٩٤/٤ ، وفتح القدير :الشوكاني :٤١٥/٢ .

الدين ، وقد أفادت الزيادة في الفعل (يتفقهوا) معنى: التكلف أي : "ليتكلّفوا الفقاهة فيه، ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها"[١]

٢- الدلالة على تكرار حدوث الانتظار بترقب الشر .

وتضح هذه الدلالة من صيغة الفعل:(تَرَبَّص) (تَفَعَّلَ) والسياق الواردة فيه.

التّربّص:الانتظار بالشيء، سلعة كانت يقصد بها غلاء، أورخصا، أو أمرا ينتظر زواله أو حصوله[٢].

"ربص بالشيء ربصا وتربص به : انتظر به خيرا او شرا ،وتربّص به الشيء: كذلك. الليث: التَّرَبُّصُ بالشيء أن تنتظر به يوماً ما[٣].

قالتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾[٤].

قال جمع من المفسرين : في الآية بيان من الله عزوجل لما في نفوس المنافقين نحو النبي والمؤمنين المخلصين من انتظار وقوع الشر ، ولكن الله بيّن أن انتظارهم هذا ما هو" إلا شهادة أو ظفر بكم؟ ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم، فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بكل فريق منا ومنكم[٥].

---

١)الكشاف : ٣٢٣/٢ ، التحرير والتنوير : ٦١/١١ .

٢)المفردات :ص٣٣٨ ،مادة : (ر ب ص).

٣) لسان العرب:مادة٣٩/٧ مادة: (ر ب ص).

٤) التوبة الآية:٥٢ .

٥) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية ، ط٢، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م ١٩٥/١ .

"وقوله: فتربصوا وإن كان بصيغة الأمر، إلا أن المراد منه التهديد، كما في قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾"[1][2] .

ويتضح من سياق الآية أن الزيادة في الفعل (تربص) قد أفادت معنى التكرار فالمنافقون يتكرر منهم انتظار وترقب حصول الشر بالمؤمنين ، وكذلك المؤمنون يتربصون بالمنافقين بحلول عذاب الله عليهم ، أو ببطش المؤمنين بهم ، لذا ناسب مجيء صيغة (تفعّل).

٤- **صيغة تَفَاعَلَ** :تستعمل هذه الصيغة للدلالة على معان مختلفة منها : المشاركة، والمطاوعة ، والتكلف[3].

وقد وردت هذه الصيغة في فعل واحد هو:(اثَّاقَلْ) للدلالة على التكلففي قول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾[4].

الآية جاءت في سياق الحديث عن خطاب الله عزوجل للمؤمنين للتحريض على الجهاد في سبيلِ الله، بطريقة العتاب على التباطؤ بإجابة دعوة النفير إلى الجهاد.[5].

وفي هذه الصيغة "دلالة على التكلف ، وإيحاء بالإخلاد إلى الأرض ، وعدم الرغبة في الخروج للجهاد"[6] .

---

١) الدخان الآية : ٤٩

٢) تفسير الفخر الرازي : ٦٨/١٦ .

٣) شرح ابن عقيل :٢٦٤/٤ .

٤) التوبة من الآية: ٣٨ .

٥) التحرير والتنوير، ١٠/ ١٩٥ .

٦) البيان في روائع القرآن :د.تمام حسان ، عالم الكتب ،ط١ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م :ص٢٨٧ .

وقال الإمام ابن عاشور :"واثاقلتم أصله تثاقلتم قلبت التاء المثناة ثاء مثلثة لتقارب مخرجيهما طلبا للإدغام، واجتلبت همزة الوصل لإمكان النطق بالحرف الأول الذي سكن للإدغام.

(والتثاقل) تكلف الثقل، أي إظهار أنه ثقيل لا يستطيع النهوض.

والثقل حالة في الجسم تقتضي شدة تطلبه للنزول إلى أسفل، وعسر انتقاله، وهو مستعمل هنا في البطء مجازا مرسلا، وفيه تعريض بأن بطأهم ليس عن عجز، ولكنه عن تعلق بالإقامة في بلادهم وأموالهم.

وعدي التثاقل بـ(إلى) لأنه ضمن معنى الميل والإخلاد، كأنه تثاقل يطلب فاعله الوصول إلى الأرض للقعود والسكون بها"[١].

فصيغة الفعل بالإدغام "تعبر عن حالة التباطؤ والالتصاق بالأرض التي تعتري الإنسان عند ما يدعى إلى أمر ثقيل على نفسه، ونكاد نشعر بجرس هذا الفعل وإيحائه أنه يصور ذلك الجسم الثقيل المشدود إلى الأرض ونحن نحاول إنهاضه ولكنه يفلت من يدنا ويعود ليلتصق بالأرض...، ولو استبدلنا بالفعل تثاقلتم الفعل (اثَّاقلتم) الوارد في الآية لتلاشى ذلك الجرس والإيحاء وقوة التعبير وانطفأت القوة السارية في معنى هذا الفعل، وهذا جانب من جوانب إعجاز كلام الله عز وجل وتميزه عن كلام البشر"[٢].

وكل هذه المعاني التي جسمت صورة المشهد المتحرك قد ظهرت أيضا من خلال السمات الصوتية للكلمة وترتيبها" فحرف الثاء لثوي يخرج ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، ووجود الشدة عليه يجعل اللسان عالقا

---

١) التحرير والتنوير،١٠/١٩٧ .

٢) الجدول في إعراب القرآن وبيانه : محمود بن عبد الرحيم الصافي ، دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق ، ط٤، ١٤١٨ هـ : ١٠/٣٤٠ .

بأطراف الأسنان بقوة ، وهذا اللصوق يمثل شغفهم للقعود وعدم التحرك ، ثم مجيء القاف الذي هو أحد حروف القلقة يوحي بارتداد وتساقط المتثاقل إلى الأرض مرة أخرى ، ثم التاء المهموسة ، والميم التي تنطبق عليها الشفتان ، ويخرج صوتها من الأنف .

ج- **الأفعال المزيدة للفعل الثلاثي** : المزيد بثلاثة أحرف أربع صيغ هي : (استفعل ،وافْعَوْعَل،وافْعَوَّل، وافْعَالَّ) وقد ورد من هذه الصيغ في آيات غزوة تبوك صيغة (اسْتَفْعَل): وتستعمل هذه الصيغة للدلالة على معان مختلفة منها : الطلب، القوة ، والصيرورة ، ولمطاوعة فَعَل الثلاثي ، وغيرها [1].

ومن دلالات هذه الصيغة في آيات غزوة تبوك :

١. **الدلالة على الطلب** من ذلك :الفعل (اسْتَأْذَن)"...وأذن له في الشيء إذناً: أباحه . استأذنه : طلب منه الاذن.."[2].أفادت الزيادة معنى الطلب.وقد ورد الفعل استأذن في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[3].

يبين الله سبحانه التفرقة بين المنافقين والمؤمنين فالقتال.فشأن المؤمنين الصادقين أن لا يستأذنوا رسول الله ﷺ في التخلف عن الجهاد معه ، وإنما شأن الذينيطلبون الإذنفي التخلف عن الجهاد معك من غير عذر هم المنافقون الذين لا يصدّقون بالله ولا يقرّون بتوحيده ولا باليوم الآخر.

---

١) شرح الشافية ، ١١٠/١ ، وشذا العرف ،٣٤ .

٢) لسان العرب:١٠/١٣ ، مادة: (أ ذ ن).

٣) التوبة الآية :٤٤، ٤٥ .

"والاستئذان: طلب الإذن، أي في إباحة عمل وترك ضده، لأن شأن الإباحة أن تقتضي التخيير بين أحد أمرين متضادين"[١].فزيادة الهمزة والسين والتاء لما تقدمت على الإذن المطلوب فقد أفادت الطلب له .

٢- الدلالة على التأكيد والتحول من ذلك :

الفعل : (يَسْتَبْدِلِ)الإبدال والتَّبديل والتَّبَدُّل والاستبدال: جعل شيء مكان آخر، وهو أعمّ من العوض، فإنّ العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقا وإن لم يأت ببدله"[٢].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[٣].

سياق الآية يبين تهديد الله سبحانه لمن لم ينفر في سبيله بالعذاب الأليم والاستبدال بقوم يطيعون رسوله وينصرونه لذلك جاء قوله (يَسْتَبْدِلِ) بصيغة استفعل" أي يبدّل ،فالسين والتاء للتأكيد"[٤]. على التبديل في حال عدم النفير للجهاد، والكلمة فيها معنى التحول ، أي يحول أمركم وعزكم إلى غيركم فيكونون بدلا منكم ، وهو المعنى الذي أظهرته حروف(الألف والسين والتاء) وذلك نحو قولهم في المثل "إن البغاث بأرضنا يستنسر"[٥].

---

١) التحرير والتنوير،١٠/٢١١ .

٢) المفردات :ص١١١ ، مادة : (ب د ل).

٣) التوبة من الآية: ٣٩ .

٤) التحرير والتنوير، ١٠/١١٨ .

٥) البغاث : ضربٌ من الطير، وفيه ثلاث لغات: الفتح، والضم، والكسر، والجمع بِغْثَان، قالوا: هو طير دون الرَخمة، واستنسر: صار كالنسر في القوّة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير يضرب للضعيف يصير قويا، وللذليل يعزّ بعد الذل . ينظر:مجمع الأمثال :أبو الفضل النيسابوري ، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد: دار المعرفة – بيروت، لبنان: ١/١٠

ومن دلالة التأكيد الفعل:(اسْتَطَاع) الاستطاعة هي القدرة على الشئ[١].

" وقد زيدت عوضا في اسطاعَ وفي هذه الكلمة أربع لغات أطاع وأسْطَاع بقطع الهمزة واسْطَاعَ بوصلها واسْتَطَاع بالتاء ولغة خامسة اسْتَاع"[٢].

قال تعالى:﴿.... وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٣].كان من الممكن أن يخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله: (لَوِ اسْطَعْنَا)ولكنه سبحانه آثر الفعل (اسْتَطَعْنَا) بزيادة التاء للدلالة على تأكيد زعمهم عدم استطاعتهم للخروج للجهاد مع رسول الله ﷺ، وهذا من مواضع زيادة المبنى التي تدل على زيادة في المعنى ، ويؤيد دلالة التأكيد في الفعل استطعنا في هذا الموضع قرينة السياق قبلها الحلف بالله كذبا من قِبل المنافقين (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ)، والحلف تأكيد .

٣- الدلالة على الكثرة والقوة والمبالغة ومن ذلك : الفعل :(اسْتَمْتَع) قال تعالى:﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ﴾[٤].المقام في الآية مقام تصوير مبالغة الكافرين والمنافقين في التمتع ،"فجيئ بصيغة الاستفعال في (استمتعوا) دون صيغة التفعل (تمتعوا) لتفيد الاستزادة والاستدامة في التمتع"[٥].

---

١) لسان العرب : مادة :٢٤٢/٨، مادة: (ط و ع) .

٢) اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء محب الدين ، تحقيق د. عبد الإله النبهان: دار الفكر – دمشق ، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م : ٢٧٧/٢ .

٣) التوبة من الآية: ٤٢.

٤) التوبة الآية: ٦٩.

٥) تفسير أبي السعود : إرشاد العقل السليم : ٨١/٤ .

قال الإمام ابن عاشور:"والاستمتاع: التمتع، وهو نوال أحد المتاع الذي به التذاذ الإنسان وملائمه، والسين والتاء فيه للمبالغة في قوة التمتع"[١]. فزيادة المبنى نتج عنها قوة ومبالغة في المعنى.

ثانيا : دلالة صيغ المبالغة القياسية:

هي صفات تشتق من الفعل الثلاثي اللازم أو المتعدي للدلالة على ما يدل عليه اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته ، والمبالغة فيه[٢]. وهي خمس صيغ قياسية) فعّال ، وفعيل ، ومِفعال ،وفعَول، وفَعِل)[٣]. وقد ورد من صيغ المبالغة في آيات غزوة تبوك ثلاثة هي:(فَعَّال ،وفَعُول، وفَعِيل)

أولا: صيغة (فَعَّال)

تدل صيغة فعّال على **المبالغة والتأكيد والتكرار**،ومن شواهد هذه الصيغة في آيات غزوة تبوك :

"سَمَّاعون" قال تعالى:﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

"فجاء سماعون بصيغة المبالغة للدلالة على أن استماعهم تام وهو الاستماع الذي يقارنه اعتقاد ما يسمع كقوله:﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾[٥][٦].

---

١) التحرير والتنوير،١٠/٢٥٨ .

٢) المعجم المفصل في علم المصرف ، راجي الأسمر : دار الكتب العلمية –بيروت– ١٤١٣هـ –١٩٩٣م : ص ٢٩٤.

٣) أبنية الصرف في كتاب سيبويه (معجم ودراسة) ، خديجة الحديثي ، مكتبة لبنان – بيروت– ٢٠٠٣م : ص ١٨٦ .

٤) التوبة من الآية :٤٧ .

٥) المائدة من الآية: ٤١.

٦) التحرير والتنوير، ١٠/٢١٨ .

وصيغة (فعّال) أبلغ فيالدلالةعلىالاستماع من صيغة (فاعل) وفي التحرير والتنوير:"قال النحاس: الأغلب أن معنى سمّاع يسمع الكلام ومثله سماعون للكذب،وأما من يقبل ما يسمعه فلا يكاد يقالفيه إلا سامع مثل قائل"[1].

فدلالة(فعّال) أبلغ وآكد من فاعل فالأولى مقترنة بالاعتقاد واليقين ،والثانية ليست كذلك لأن مضاعفة العين أفادت التكرير والمبالغة ، لذا كان استعمالها في هذا الموضع أنسب لسياقها .

ومنه "توّاب" قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

التواب على وزن (فَعَّال) المضعف العين ، وهذه الصيغة تدل على التكرار مع المبالغة والتوكيد والكثرة فالتواب "الموصوف بالإكثارمن قبول توبة التائبين"[3].

"فالتّوّاب هو الذي تتكرر منه التوبة مرّة على مرّة، وهو فعّال، وذلك أبلغ من التائب الذي هو فاعل، فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب فهو تائب: أي صدرت منه التوبة مرة واحدة؛ فإذا قيل: توّاب؛ كان صدور التوبة منه مرارا كثيرة"[4]. فهذه الصيغة أفادت المبالغة والاكثار ، والتكرار مع الاستمرار والاستدامة ، وناسبت سياقها.

---

١) الصفحةنفسها .

٢) التوبة الآية : ١٠٤ .

٣) التحرير والتنوير، ٢٥/١١

٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لابن الأثير : ٢/ ١٩٨.

ثانيا: فَعُول وفَعِيل من صيغ المبالغة التي تدل على الكثرة والمبالغة ومن أمثلة ذلك في آيات غزوة تبوك:

أ- **فَعُول ومنه"رءوف"** قال تعالى:﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

سياق الآية في الحديث عن مظاهر فضل الله على عباده المؤمنين، حيث تقَبّل توبتهم، وتجاوزَ عن زلاتهم ، وذلك حين خرج المؤمنون في غزوة تبوك في وقت حر شديد ، وفقر في الزاد والماء والراحلة ،ثم أكد سبحانه قبول توبته وعظيم فضله عليهم،ولطفه بهم؛ لأنه سبحانه شديد الرأفة والرحمة فقال عزوجل: {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}. " فرءوف صيغة مبالغة من رائف بمعنى : الشديد الرأفة وعظيمها ، وهي أبلغ في الدلالة من صيغة فاعل ، لأن الرءوف أبلغ في الرأفة "[٢]. من رائف وذلك لأن الرءوف شديد الرأفة مبالغ فيها ، ومن هنا فبقاء اللفظة على صيغتها هو الأنسب لسياق الآية الكريمة .

وختمت الآية بالرحيم "والرحيم الشديد الرحمة فهي صيغة مبالغة "[٣]. وفي المعجم الوسيط :"الرحمن الرحيم : الكثير الرحمة "[٤].

ب- **فَعِيل** : ومنه "الأَلِيم" قال تعالى:﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٥].

---

١) التوبة الآية: ١١٧.

٢) التحرير والتنوير، ٧٣/١١.

٣) التحرير والتنوير، ٧٣/١١ .

٤) المعجم الوسيط:٣٣٥/١ ، مادة : (ر ح م) .

٥) التوبة من الآية: ٣٩ .

"والأليم المؤلم، فهو فعيل مأخوذ من الرباعي على خلاف القياس"[١]. ودلالة صيغة فعيل أبلغ وأشد من مُفْعِل . فأليم دل على شدة الألم وقوته ، وهذا مالم يدل عليه مؤلم .

المبحث الثالث

دور السياق اللغوي على مستوى التركيب.

"اللغة لها نظامها الذي يحكمها ، ونظام مفرداتها يقرر تجاور الخبر مع المبتدأ والفعل مع الفاعل والمفعول به ويصير نظام اللغة على اطراد هذه الظواهر"[٢].، ولكن عندما يلجأالمبدع إلى" تطبيق هذه النظم في شكل كلام أدبي فإنه لايحافظ على هذا الاطراد وإنما تحكمه سياقات الكلام فيلجأ إلى تكرارات أومنبهات أسلوبية تبدو في شكل دفعات تعبيرية ،لها طبيعة مختلفة عن النظام المطرد ، وبهذا تمثل اللغة نظاما يتصل بالنسق وما تحكمه من علاقات حيث تتابع العناصر بعدها إثر بعض ويتآلف في سلسلة الكلام ، وهذا التآلف الذي يعتمد على الامتداد يطلق عليه (العلاقات السياقية)فالكلمة عندما تدخل في تركيب ما فإنها"[٣]"تكتسب قيمتهامن مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات"[٤].

---

١) التحرير والتنوير، ٢٠٠/١٠ .

٢) البلاغة والأسلوب : د/ محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ، ط١، ١٩٩٤م : ص ٣٠٧.

٣) السياق وأثره في المعني :المهدي إبراهيم الغويل ،مكتبة الأكاديمية دار الفكر الجماهيري ، ليبيا ، بنغازي ،ط١ ،٢٠١١م : ص٧٠ ،٧٢.

٤) المثل السائر : ابن الأثير :١٦٤/١.

ولذا فإن معاني التركيب ليست مجموعة المعاني المعجمية لمفرداتها ، بل إن معانيها نابعة من الارتباطات التي يُكوّنها السياق لأن هذه الارتباطات نسيج متشابك تتمازج فيه الألفاظ لتحدث أثرا خاصا .

كما لا ينكر أن "دلالات السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة – بمفرداتها نفسها – إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة الجملة "[١].

ولذا يؤكد اللغويون علي ترتيب الكلمات داخل السياق لغرض فهم المعنى ، وأغراض الكلام التي تكشف عن جانب مهم من موقف المتكلم ؛"لأن التركيب تختبئ في خصائصه وأحواله إشارات ودلالات مختلفة ، وأن السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص ما تقتضيه ، وكأن التركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس تعطي ألوانا كثيرة أدارتها إدارة جديدة ، والسياق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشع ألوانه مايراد إشعاعه"[٢].

ومن هنا اهتمت الدراسات البلاغية بالتركيب أكثر من اهتمامها بالمفردات ، وأولته عناية أكبر في مباحث الحذف والذكر والتقديم والتأخير والفصل والوصل والتعريف والتنكير وغيرها . ويتناول المبحث :

– سياق الحذف والذكر . – سياق التقديم والتأخير .

---

١) النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعني النحوي والدلالي : د/ محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ، ط١ ، ٢٠٠٠م : ص١١٣.

٢) أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث : د/ توفيق الزيدي ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٤م : ص ٧٣.

أولا: سياقات الحذف والذكر:

أ- الحذف[1].

"يرجع حسن العبارة في كثير من التراكيب إلى ما يعمد إليه المتكلم من حذف لايغمض به المعنى ، ولا يلتوي وراءه القصد ، وإنما هو تصرف تصفي به العبارة ويشتد به أثرها ، ويقوي حبكها ، ويتكاثر إيحاؤها ويمتلئ مبناها ، وتصير أشبه بالكلام الجيد ، وأقرب إلى كلام أهل الطبع..ومقصد آخر تراه وراء كل حذف، هو بعث الفكر وتنشيط الخيال وإثارة الانتباه ليقع السامع على مراد الكلام "[2].

قال الإمام عبد القاهر الجرجاني عنه:" هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة؛ وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن "[3].

ومن الإعجاز القرآني ما نجده من حذف حرف من بعض ألفاظه في موضع أبلغ ، وذكره في موضع آخر أبلغ فكل كلمة في الآية في مكانها المناسب المتناسق مع باقي الكلمات ومعانيها ، والمتفق مع السياق العام ، فذكر الكلمات في الآية مقصود وحذف بعض الكلمات في الآية مراد"[4].

---

١) الحذف: إسقاط جزء من الكلام ،أو كله لدليل .البرهان في علوم القرآن : للزركشي ١٠٥/٣ .

٢) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم البيان : محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، ط٤ ، -١٤١٦هـ - ١٩٩٦م : ص١٥٣ .

٣) دلائل الإعجاز : ص١٠٠.

٤) إعجاز القرآن البياني ، ودلائل مصدره الرباني : د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٤٢١-٢٠٠٠م : ص٢٥٢.

ويعدّ السياق هو العامل الأول والأهم في تقدير المحذوف قال الزركشي :"واعلم أن دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات "[١].

ويخصص ابن عاشور كلامه عن المحذوف في القرآن فيقول :" إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفا ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق "[٢].

وباستقراء الآيات الواردة في غزوة تبوك تبين لي أن الحذف قد ورد على النحو الآتي :

أولا : حذف ما ليس بتركيب أو جملة، ويشمل :

١- حذف الاسم ٢- حذف الفعل٣- حذف المتعلق٤- حذف الحرف

١. حذف الاسم :

يحذف الاسم وهو مبتدأ ، أو خبر أومفعول به ،أومضاف أو غير ذلك ، ويكون الحذف معهما وجوبا أو جوازا[٣]، وقد ذكر العلماء أن حذف الاسم في التعبير القرآني قد يكون أفضل من ذكره .

قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني :"ما من اسم حذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النّطق به"[٤].

ومن حذف الاسم : **أ- حذف المبتدأ**

---

١) البرهان في علوم القرآن ،١٢٩/٣ .

٢) التحرير والتنوير،١٢٢/١ .

٣) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي :د.طاهر حمودة ، الدار الجامعية للطبع والنشر ، ط١، ١٩٩٨م : ص ١٧٨ .

٤) دلائل الإعجاز، ص١٠٤ .

نحو قوله تعالى في خطاب المنافقين ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ﴾[1].

"تقديره:أنتم كالذين من قبلكم ،فكاف التشبيه في موضع الخبر عن مبتدأ محذوف دل عليه ضمير الخطاب"[2]. ويمكن أن تكون الكاف "في حيز النصب بفعل مقدر أي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم"[3]

ومنه قوله تعالى عن رذائل المنافقين، وسوء أدبهم:﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾[4].

" (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (أذن) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أي(هو أذن خير)"[5]. فقد كشف السياق عن المبتدأ المحذوف وهو مفهوم من السياق، وقد حذف للإيجاز .

ب- حذف الخبر: ومما ورد من حذف الخبر في أيات غزوة تبوك : قوله تعالى:﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾[6].

" (الواو) استئنافيّة (مِنْ) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بنعت لخبر محذوف مقدّم أي بعض منهم.. و(مَنْ) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر"[7].ومنه قوله تعالى في خطاب المنافقين:﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[8].

---

١) التوبة من الآية ٦٩ .

٢) التحرير والتنوير، ٢٥٧/١٠.

٣) تفسير أبي السعود : إرشاد العقل السليم :٨١/٤ .

٤) التوبة من الآية:٦١ .

٥) الجدول في إعراب القرآن وبيانه ،٣٧٣/١٠

٦) التوبة من الآية:٤٩ .

٧) الجدول في إعراب القرآن وبيانه ،٣٥٥/١٠

٨) التوبة من الآية:٦٢.

"**والتقـدير:** والله أحـق أن يرضـوه ورسـوله كذلك،وحـذف الخبـر إيجـاز "[١]. فما ذُكر في السابق دليل على المحذوف .

ج- حذف المفعول

ومن ذلك ما ورد في سياق بيان الله عزوجل للمفاسد المترتبة على خروج المنـافقين فـي جـيش المـؤمنين يقـول الله تعـالى:﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[٢]. حيث "حذف مفعولالثاني للفعل (زاد) لدلالة الخروج عليه، أي ما زادوكم قوة أو شيئا مما تفيد زيادته في الغزو نصرا على العدو"[٣].

ومن ذلك حذف مفعول (اعملوا) في قوله تعالى :﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٤].

للدلالة على الشمول والعموم والتقدير اعملوا أي عمل أيها المنافقون من مكـر أوخـداع أو ظـاهر أو خفـي وسـيكون مآلـه أن يعلمهـويظهره لرسـوله وللمؤمنين ، والأمر هنا للتهديد والوعيد " لأجل التعويل على القرينة، ولأن الأمر من الله لا يكون إلا بعمل صالح"[٥].

٢. حذف الفعل :

" يرد في اللغة حذف الفعل وحده أو حذفه مع فاعله المضمر ، وبعض مواضـع الحـذف يصـفها النحـاة بـالوجوب ، أي إن إظهـار الفعل فيهـا غيـر جائز . بعبارة أخرى لا تكون الجملة صحيحة نحويا لو ذكر الفعل المحذوف

---

١) التحرير والتنوير، ٢٤٥/١٠

٢) التوبة من الآية ٤٧.

٣) التحرير والتنوير، ٢١٦/١٠

٤) التوبة من الآية: ١٠٥ .

٥) التحرير والتنوير، ٢٥/١١ .

المقدر ، لأن عادة الناطقين أن يلتزموا هذا الحذف ، وفي مواضع أخرى يكون الحذف جائزا ؛ بمعنى أن إظهار الفعل المحذوف تكون الجملة معه صحيحة لجري العادة اللغوية للناطقين علي ذكر المحذوف"[١].

ومن شواهد حذف الفعل في آيات غزوة تبوك قوله تعالى إخبارا عنسوء مصير المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٢]. "جزاءً مفعول لأجله أو مفعول مطلق لفعل محذوف أي يجزون جزاء"[٣].

٣. حذف المتعلق:

ومن مواطن حذف المتعلق ماورد في سياق معاتبة الله نبيه محمدًا ﷺ بالاستئذان للمنافقين بالتخلف عن الجهاد حين طلبوا منه ذلك يقول الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[٤].

"حذف متعلق أذنت لظهوره من السياق، أي لم أذنت لهم في القعود والتخلف"[٥].

---

١) ظاهرة الحذف، ص ٢٥٣ .

٢) التوبة الآية: ٨٢ .

٣) إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين درويش ، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)ط٤– ١٤١٥ هـ : ١٤٤/٤ .

٤) سورة التوبة من الآية: ٤٣.

٥) التحرير والتنوير، ٢١٠/١٠

٤. حذف الحرف :

"يحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق فقد يحذف حرف أو يذكر ، أو يجتزؤ بالحركة للدلالة على المحذوف ، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال"(١).

ومن حذف الحرف في آيات غزوة تبوك ما يأتي :

أ- حذف حرف الجر

يكثر ويطرد مع (أنَّ)و(أنْ) نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾(٢).

قال الإمام ابن عاشور:"الاستئذان يُعَدَّى بالحرف (في).فقوله: أن يجاهدوا في محل جر ب (في) المحذوفة، وحذف الجار مع أنْ مطرد شائع"(٣).

وقد حذف الحرف (في) في الآية بقرينة المقام قال الإمام البيضاوي في تقدير المحذوف "لا يَستأذنُك ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا"(٤) . وفي الآية حذف لا النافية في قوله تعالى : (أَنْ يُجاهِدُوا) ولم يقل (أن لا يجاهدوا)

---

١) التعبير القرآني فاضل صالح السامرائي ، ط٤ ، دار عمار، عمان ، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ : ص٧٥ .

٢) التوبة من الآية: ٤٤ .

٣) التحرير والتنوير، ٢١١/١٠ .

٤) تفسير البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٢/٣ .

لأنه " لا يليق بالمؤمنين الاستئذان في ترك الجهاد، فإذا انتفى أن يستأذنوا في أن يجاهدوا ثبت أنهم يجاهدون دون استئذان، وهذا من لطائف بلاغة هذه الآية "[1].

ب- حذف إحدى التاءين

تحذف التاء في بنية الكلمة إن كانت مكررة ، وحذفها يكون تخفيفا ، يقول سيبويه :"أعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد"[2].

ومن حذف التاء في آيات غزوة تبوك : قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾[3].

"وتربصون فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه أي تنتظرون"[4].

ثانيا : حذف التركيب أو الجملة :

تحذف الجمل في اللغة من الكلام تجنبا للإطالة وجنوحا إلي الاختصار ، ولذلك نلحظ أن حذفها يقع في الأساليب المركبة من أكثر من جملة ، وهي أساليب الشرط والقسم ، والعطف ، والاستفهام وبعد " ذا "التي تضاف إليى جملة [5].

ومن مواطن حذف الجملة في آيات غزوة تبوك :

---

١) المصدر السابق ، ٢١٢/١٠ .

٢) الكتاب لسيبويه ، ٤١٧/٤.

٣) التوبة من الآية ٥٢ .

٤) إعراب القرآن وبيانه. ١١٢/٤ .

٥) ظاهرة الحذف في الدراسات اللغوية ، ص ٢٨٤ .

١- حذف جملة جواب الشرط :

يقول د/ تمام حسان:"المعروف أن أداة الشرط تفتقر إلى شرط وجواب ، بل إن الجواب هو الرسالة الحقيقية ، والشرط إنما هو قيد لوقوع مضمون الجواب ، ومن هنا يصبح جواب الشرط بالغ الأهمية في الكلام ، ولكن مع أمن اللبس قد يبيح حذفه أحيانا بقرينة السياق"(١).

ومن حذف جملة الجواب في آيات غزوة تبوك قوله تعالى:﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٢). "كنتم فعل الشرط وجملة تعلمون خبر كنتم وجواب الشرط محذوف أي فجاهدوا أو فلا تثاقلوا"(٣).بقرينة "انفروا خفافا وثقالا".

ومنه قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾(٤).

حذف جواب شرط إذا في قوله تعالى (إِذَا نَصَحُوا)لأنه " دلّ عليه ما قبله أي: إذا نصحوا.. فليس عليهم حرج"(٥).

٢- حذف القسم :

أسلوب القسم في اللغة طريق من طرق توكيد الكلام ، وإبراز دلالته قال ابن يعيش:"الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات"(٦).

---

١) البيان في روائع القرآن ، ص ٢٤٦ .

٢) التوبة الآية: ٤١.

٣) إعراب القرآن وبيانه ، ١٠٤/٤ .

٤) التوبة من الآية: ٩١ .

٥) الجدول في إعراب القرآن وبيانه ، ٨/١١ .

٦) شرح المفصل : لابن يعيش ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م : ٢٤٤/٥ .

ومن حذف القسم في آيات غزوة تبوك قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾[1].

"اللام جواب لقسم محذوف تقديره والله لقد ابتغوا"[2].

ب- الذكر في آيات غزوة تبوك:

"وهو أن يذكر في موطن ما لا يذكره في موطن آخر يبدو شبيها به ، وليس عدم ذكره من باب الحذف ، وإنما هو قد يزيد لفظا أو أكثر مراعاة لما يقتضيه السياق"[3].

١-ومن مواطن الذكر في آيات غزوة تبوك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾[4].

"**التتميم:** في الآية الكريمة بذكر (مع القاعدين) وعدم الاكتفاء بذكر (اقعدوا)، وهذا من التنبيهات الحسنة لأنه سبحانه : لو قال اقعدوا مقتصرا عليه، لم يفد سوى أمرهم بالقعود، وكذلك، كونوا مع القاعدين، ولا تحصل هذه الفائدة مع إلحاقهم بهؤلاء الأصناف الموصوفين عند الناس بالتخلف والتقاعد، الموسومين بهذه السمة، إلا من عبارة الآية "[5].

٢-يقول تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[6] .

---

١) التوبة من الآية:٤٨ .

٢) الجدول في إعراب القرآن وبيانه ، ١٠٩/٤

٣) التعبير القرآني ، ص٩٧ .

٤) التوبة الآية: ٤٦ .

٥) الجدول في إعراب القرآن وبيانه ، ٣٥١/١٠

٦) التوبة الآية: ٥٥ .

ويقول سبحانه في موضع آخر: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[١].

"في الآية الأولى أعيد ذكر (لا) النافية ، وفي الآية الثانية عطف فيها الأولاد على الأموال من دون إعادة حرف النفي ،ووجه ذلك أن ذكر الأولاد في الآية الأولى لمجرد التكملة والاستطراد إذ المقام مقام ذم أموالهم إذ لم ينتفعوا بها فلما كان ذكر الأولاد تكملة كان شبيها بالأمر المستقل فأعيد حرف النفي في عطفه، بخلاف مقام الآية الثانية فإن أموالهم وأولادهم معا مقصود تحقيرهما في نظر المسلمين"[٢].

وجواب آخر وهو أن "عطْف الأموال والأولاد بالأداة (ولا) لزياة التأكيد ؛ لما تقدم من أساليب التوكيد نحو ضمير الفصل في قوله تعالى:﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[٣]. فجاء التوكيد بإعادة ذكر (ولا) النافية ، لمناسبة أساليب التوكيد المذكورة قبله .

أما في الآية الثانية فقد عطف الأولاد على الأموال بالواو فقط (وأولادهم)؛ لأنها لم تتضمن أساليب التوكيد التي تضمنتها الأية الأولى"[٤].

"وفي الآية الأولى أيضا ذكر الموصوف (الحياة) ؛ لأن ذلك واقع حياتهم ، أي أنه عذاب لجسد حيٌ يحس ويتأثر ، وحذف الموصوف في الآية الثانية ؛ وذلك اكتفاء بوروده في الآية الأولى"[٥].

---

١) التوبة الآية: ٨٥ .

٢) التحرير والتنوير، ٢٨٧/١٠ .

٣) التوبة من الآية: ٥٤ .

٤) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم :د/ محمد داود ص ٥٣٩ .

٥) الصفحة نفسها.

٣- ومن مواطن الذكر ، ذِكْر (الباء) في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾[١]. وحذفها في الأية الأخرى في قوله تعالى :﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٢].

؛"وذلك لأن سياق الكلام في الأية الأولى إيجاب بعد نفي وهو الغاية في باب التأكيد وهو قوله:{ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا }فأكد المعطوف أيضا بالباء ليكون الكل في التأكيد على منهاج واحد وليس كذلك الآيتان بعده فإنهما خلتا من التأكيد"[٣]. لأنها جملة إنشائية ،وجاء التوكيد في الآية الأولى لدفع توهم من يقول إن نفقتهم تُقبل لو أنهم آمنوا بالرسول فأكد القرآن "أن الكفر بالله كفر، والكفر بالرسول كفر، أيضا"[٤].

٤- ومن مواطن الذكر أيضا قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[٥].

فذكر سبحانه وتعالى :(المؤمنون) ولم يذكرها في الآية السابقة لها في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[٦].

---

١) التوبة من الآية: ٥٤ .

٢) التوبة من الآية: ٨٤ .

٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن : للكرماني ، ص ١٣٤.

٤) زهرة التفاسير، ٣٣٣٣/٦ .

٥) التوبة من الآية: ١٠٥.

٦) التوبة من الآية: ٩٤ .

ذلك لأن "سياق الآية الثانية التي لم يذكر الله سبحانه وتعالي فيها (المؤمنون) تتحدث عن المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ولا يعلم أعمالهم الخفية إلا الله ورسوله، أما الآية الأولى فهي في خطاب المؤمنين وأعمالهم ظاهرة للجميع مما ترى للعين، وسيطلع عليها الرسول والمؤمنون، لهذا ذكر الله سبحانه (والمؤمنون)"(١).

"وجاءت الواو في ختام الآية الأولي (وستردون) لأنها في مقام الوعد لا الوعيد، فالواو والسين تؤذنان بقرب الجزاء والثواب وبُعْد العقاب ، بينما جاءت (ثم) في آخر الآية الثانية ؛ لأن المراد بها الوعيد بالعذاب الذي ينتظر المنافقين في الآخرة ، و(ثم) دالة علي البعد الزمني والتراخي "(٢).

٥-ومن شواهد الذكر في آيات غزوة تبوك:قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٣).

قال الإمام الشعراوي :"كان يستطيع سبحانه أن يقول:{ ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة}وأيضا يقول:(وَأَنَّ اللَّهَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } ولن يختل الأسلوب؟

أقول: لقد شاء الحق أن يأتي بضمير الفصل، مثلما نقول: فلان يستطيع أن يفعل لك كذا. وهذا القول لا يمنع أن غيره يستطيع إنجاز نفس العمل، لكن حين تقول: فلان هو الذي يستطيع أن ينجز لك كذا. فهذا يعني أنه لا يوجد

---

١) درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ) ،تحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ٧٣٧/٢ . بإيجاز وتصرف

٢) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم :د/ محمد داود ص ٥٩١ .

٣) التوبة الآية : ١٠٤ .

غيره. وهذا هو ضمير الفصل الذي يعني الاختصاص والقصر ويمنع المشاركة. لذلك قال الحق: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ "[1].فهو وحده الذي يقبل التوبة والإنابة من التائبين . وهو وحده – كذلك – التواب الرحيم لا غيره . فهو المختص بقبول التوبة عن عباده وهو وحده الذي يتوب عليهم ويرحمهم .

٦- ومن شواهد الذكر أيضا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [2]. فذكر سبحانه وتعالى:(صَالِحٌ عَمَلٌ) ولم يذكرها في الآية التالية في قوله سبحانه: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

"لأن الأية الأولى تضمنت ما ليس من عمل أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ، لكن بفضل الله سبحانه وتعالى وكرمه ، يكتب لهم بكل شئ من أنواع تلك الأعمال عملا صالحا ، وإن لم يكن من عملهم ولم يقصدوا به التقرب إلى الله عزوجل .

أما في الآية الثانية فتضمنت ما هو من عملهم القاصدين له فقال عزوجل (كُتِبَ لَهُمْ)أي : ثواب ذلك العمل"[4].

---

١) تفسير الشعراوي ، ٥٤٧٥/٩.

٢) التوبة من الآية : ١٢٠.

٣) التوبة الآية:١٢١ .

٤) التحرير والتنوير،٧٥/١١ ، ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، ص ٥٨١.

ثانيا: سياقات التقديم والتأخير:

"إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام ، والسياق هو الذي يقدم لفظة مرة ، ويؤخرها مرة أخري علي حسب المقام ، ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه ، بل راعي جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ، ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله"(١). يقول سيبويه :"كأنهم إنما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يُهمّانِهم ويَعْنِيانهم "(٢). ، والقرآن الكريم يتميز بالدقة في اختيار الكلمة والدقة في اختيار موضعها .

التقديم والتأخير في آيات غزوة تبوك .

ورد في آيات غزوة تبوك نوعين من التقديم هما تقديم الألفاظ ، وتقديم التراكيب والجمل وذلك على النحو الآتي :

أولا : تقديم الألفاظ وتأخيرها

ورد بكثرة تقديم الألفاظ وتأخيرها في آيات غزوة تبوك حسبما يقتضيه المقام من ذلك

١- **تقديم الأموال على الأنفس** :في قوله تعالى:﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾(٣).

يقول أبو حيان "وقدمت الأموال لأنها أول مصرف وقت التجهيز"(٤).

---

١) التعبير القرآني ، ص٥١، ٥٢ .

٢) الكتاب :لسيبويه ،٣٤/١ .

٣) التوبة من الآية: ٤١ .

٤) البحر المحيط ، ٤٥/٥.

ويرى ابن عاشور أن تقديم الأموال للاعتناء أو التنبيه حيث يقول "لأن الجهاد بالأموال أقل حضورا بالذهن عند سماع الأمر بالجهاد، فكان ذكره أهم بعد ذكر الجهاد مجملا"(١).

وقد يكون تقديم الأموال على الأنفس في هذه الآية الكريمة لأن "بذل النفس آخر المراتب فإن العبد يبذل ماله أولا يقي به نفسه فإذا لم يبق له ماله بذل نفسه ،فكان تقديم المال على النفس في الجهاد مطابقا للواقع. وأما قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾(٢). فكان تقديم الأنفس هو الأولى لأنها هي المشتراة في الحقيقة وهي مورد العقد وهي السلعة التي استلمها ربها وطلب شراءها لنفسه وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنته فكانت هي المقصود بعقد الشراء والأموال تبع لها فإذا ملكها مشتريها ملك مالها فإن العبد وما يملكه لسيده ليس له فيه شيء فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها فحسن تقديم النفس على المال في هذه الآية"(٣).

كذلك قدّم الله عزوجل الآلة (أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)على (السبيل) في هذه الآية الكريمة لأنها جاءت في سياق الإنكار والتوبيخ والوعيد لمن تثاقل عن النفار في غزوة تبوك حيث الحر وبُعد الشُّقّة وطيب الظلال تحت الأشجار في الديار والبساتين، فرغبوا في هذه عن إنفاق أموالهم إجهاد أنفسهم ، فاقتضى السياق تقديم ما كان سببا في تثاقلهم ورغبتهم عن الجهاد وهي(الأموال ومتاع الأنفس).

---

١) التحرير والتنوير، ٢٠٧/١٠ .

٢) التوبة من الآية:١١١.

٣) بدائع الفوائد :لابن الجوزية ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، ١/ ٧٨ .

٢- تقديم عاد على ثمود

قال تعالى:﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾[١]؛ لأن عادا أسبق من ثمود ، فالتقديم هنا جاء حسب القدم والأولوية في الزمن.

٣- تقديم المهاجرين على الآنصار في قوله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٢]. "وهذا التقديم قد يكون بحسب الفضل والشرف"[٣].

وفي الآية أيضا تقديم المسند إليه (السابقون) على خبره الفعلي وهو جملة (رضي الله عنهم) لقصد التقوي والتأكيد"[٤].

٤- تقديم الملجأ على المغارات والمُدّخل في قول الله تعالى :﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[٥].

قال الإمام أبو حيان :" بدأ أولا بالأعم وهو الملجأ، إذ ينطلق على كل ما يلجأ إليه الإنسان، ثم ثَنَّىبالمغارات وهي الغيران في الجبال، ثم أتى ثالثا بمُدَّخَل وهو النفق باطن الأرض"[٦].

"والآية هنا تعطينا صورة دقيقة لحالة المنافقين في أي معركة. فبمجرد بَدْءِ القتال تجدهم لا يتجهون إلى الحرب، ولا إلى منازلة العدو، ولا يطلبون الاستشهاد، ولكنهم في هذه اللحظة التي يبدأ فيها القتال يبحثون عن مكان

---

١) التوبة من الآية: ٧٠ .

٢) التوبة من الآية: ١٠٠ .

٣) بدائع الفوائد ، ٦٧/١ .

٤) التحرير والتنوير، ١٨/١١ .

٥) التوبة الآية : ٥٧ .

٦) البحر المحيط، ٤٣٨/٥ .

آمن يهربون إليه، أو مغارة يختبئون فيها، أو مُدَّخل في الأرض ينحشرون فيه بصعوبة ليحميهم من القتال. فإذا انتهت المعركة خرجوا لينضموا إلى صفوف المسلمين"[١].

ومجئ التعبير بقوله (يَجْمَحُونَ)"للإشعارٌ بكمال عتوهم وطغيانهم"[٢].

"والجموح: حقيقته النفور، واستعمل هنا تمثيلا للسرعة مع الخوف"[٣].

٥- ومن شواهد التقديم في الألفاظ : التقديم في الفاصلة من ذلك :

تقديم السمع على العلم في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٥].

"فتقديم السميع على العليم للرتبة ولم يجئ (عليم سميع) وذلك أنه خبر يتضمن التخويف والتهديد فبدأ بالسمع لتعلقهما في القرب كالأصوات وهمس الحركات فإن من سمع حسك وخفي صوتك أقرب إليك في العادة ممن يقال لك أنه يعلم وإن كان علمه تعالى متعلقا بما ظهر وبطن وواقعا على ما قرب وشطن ولكن ذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم فهو أولى بالتقديم"[٦].

---

١) تفسير الشعراوي ، ٥٢٠٩ .

٢) تفسير أبي السعود : إرشاد العقل السليم : ٧٥/٤

٣) التحرير والتنوير ،١٠/ ٢٣١.

٤) التوبة الآية: ٩٨ .

٥) التوبة الآية:١٠٣ .

٦) بدائع الفوائد، ٦٤/٦٣/١ .

كذلك جاء التقديم مراعاة للفاصلة ؛ لأن الآية قبلها وبعدها مختتمة بالميم .

وأما تقديم الغفورعلى الرحيم في قوله تعالى:﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ }[١].

" لأنه أولى بالطبع لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة تطلب قبل الغنيمة وفي الحديث أن النبيﷺ قال: لعمرو بن العاص " إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ وَجْهًا يُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُغْنِمَكَ ، فَارْغَبْ لَكَ مِنَ الْمَالِرَغْبَةً صَالِحَةً"[٢] فهذا من الترتيب البديع بدأ بالسلامة قبل الغنيمة وبالغنيمة قبل الكسب"[٣].

وفي الآية مجئ (الغفور) أبلغ في إيقاع المغفرة من الغافر ؛لأن صيغة فعول تدل على تكرار المغفرة والرحمة ، وصيغة فاعل لا تدل على ذلك ،لذا استدعى السياق مجيئ هذه الصيغة.

٦-" **تقديم النبي ﷺفي تعلق فعل التوبة بالغزاة**في قوله تعالى:﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[٤]. للتنويه بشأن هذه التوبة وإتيانها على جميع الذنوب إذ قد علم المسلمون كلهم أن النبيﷺقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[٥].

ثانيا : تقديم التراكيب والجمل :

ومن تقديم التراكيب والجمل في آيات غزوة تبوك :

تقديم العفو على الملام .

---

١) التوبة من الآية: ١٠٢ .

٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق:: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، مؤسسة الرسالة – ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (٣٣٧/٢٩) رقم (١٧٨٠١) .

٣) بدائع الفوائد ، ٦٤/١ .

٤) التوبة من الآية: ١١٧.

٥) التحرير والتنوير،٤٩/١١ .

قال الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

"قدم سبحانه العفو على المعاتبة له ﷺ لئلا توحشه مفاجأته بذلك"[2]. فلو اختلف الترتيب في الآية فبدأ سبحانه بالمعاتبة على العفو{ لم أذنت لهم عفا الله عنك }لأدى إلى اختلاف المعنى الذي يحزن قلب النبي ، ويشعره بالذنب، والتبشير بالعفو قبل المعاتبة يبين للبشرية مكانة ومقدار رسول الله ﷺ عند ربه ، وسرعة عفوه عنه قبل معاتبته له ﷺ .

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[3].

يقول الفراء"معناهُ: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فِي الحياة الدُّنْيَا. هَذَا معناه، ولكنه أخِّر ومعناه التقديم- والله أعلم- لأنه إنّما أراد: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فِي الحياة الدُّنْيَا إنّما يريد الله ليعذبهم بِهَا فِي الآخرة. وقوله: وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ}أي تَخرج أنفسهم وهم كفار. ولو جعلت الحياة الدُّنْيَا مؤخّرة [4].وأردت:إنّما يريد الله ليعذبهم بالإنفاق كرهًا ليعذبهم بذلك فِي الدنيا، لكان وجها حسنا"[5].

---

١) التوبة الآية : ٤٣.

٢) روح المعاني : ٣٧٣/٣ .

٣) التوبة الآية : ٥٥ .

٤) أي غير منويّ تقديمها، كما فالرأى السابق.

٥) معاني القرآن : الفراء ،دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ،ط١ : ٤٤٢/١ .

الفصل الثاني

دور السياق على مستوى النص

يعرف المعاصرون مصطلح"النص" بأنه "مجموعة من الأحداث الكلامية ، التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي ومتلق ، وقناة اتصال بينهما ، وهدف يتغير بمضمون الرسالة ، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل"(١).

"إن سياق النص (contexet verbal) هو المحدود بحدود النص والمستفاد من عناصر مقالية داخل النص ، ويبدأ ببنية الكلمة المفردة بوصفها سياقا للحروف، والأصوات ، والجملة بوصفها سياقا للكلمات ، والنص بوصفه سياقا للجمل ، وقد تناولت البلاغة العربية البحث في التراكيب المتعلقة بالجملة والجمل ، فيما عرف بنظرية النظم ، وينتهي ذلك بالنظر إلى النص بوصفه سياقا للجملة ، أو القصيدة سياقا للبيت من الشعر ، ومن ثّم لايمكن حصر مفهوم السياق اللغوي في أنه " مجمل العلاقات بين الكلمات في النص"(٢).

---

١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة لبنان – بيروت ، ط١ ،١٩٩٧م : ص١١٠.

(٢دلالة السياق : ردة الله بن ردة بن ضيف الله ، مكة المكرمة ، رسالة دكتوراه ، ط١، ١٤٢٤هـ : ص١٧٠.

المبحث الأول

العلاقات الداخلية في النص (السياق اللغوي)

ويتضمن ما يلي :

أولا: القرائن اللفظية في النص :

القرينة اللفظية :و"هي عنصر من عناصر الكلام يستدل به على الوظائف النحوية ، فيمكن بالاسترشاد بها أن نقول هذا اللفظ فاعل ، وذلك مفعول به أو غير ذلك . ومثل هذه القرائن كمثل معالم الطريق التي يهتدي بها المرء إلى المكان الذي يقصده "[1]. ويدور معنى القرائن حول مدى ارتباط الكلمات بعضها ببعض ، سواء أكان ذلك داخل الجملة أم كان داخل السياق.

ومن شواهد القرائن اللفظية في آيات غزوة تبوك :

١. عدول النص القرآني عن الإضمار إلى الإظهار ، وذلك بأن يؤتى بالاسم المعاد ذكره ثانية ظاهرا بدلا من الإتيان بضمير يعود على الاسم الأول ، وهذا العدول؛ لأهمية وفائدة ذكرها المفسرون، ومن ذلك:

قول الله عزوجل: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2]. جاء التصريح بلفظ (الدنيا) ، وكان حقها الإضمار في قوله تعالى: { فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فلم يقل (فما متاعها) فأُظهر في مقام الإضمار" لزيادة التقرير أي فما التمتعُ بها وبلذائذها{فِى الاخرة} أي في جنب الآخرة{إِلاَّ قَلِيلٌ} أي مستحقَرٌ لا يُؤبَه له"[3].في الدنيا بالنسبة للآخرة.

(١ البيان في روائع القرآن :ص ٧ .

٢) التوبة من الآية ٣٨ .

٣) تفسير أبي السعود : إرشاد العقل السليم : ٦٥/٤ .

" فإعادة المرجع بلفظه رابط أقوى من إعادة ضميره عليه ؛ لأن لفظه أقوى من الكناية عنه "[١].

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾[٢].

جاء التصريح بلفظ النبي " إظهارًا في مقام الإضمار لأن قبله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[٣].فكان مقتضى الظاهر أن يقال: "ومنهم الذين يؤذونك" فعدل عن الإضمار إلى إظهار وصف النبيللإيذان بشناعة قولهم ولزيادة تنزيه النبيء بالثناء عليه بوصف النبوءة بحيث لا تحكى مقالتهم فيه إلا بعد تقديم ما يشير إلى تنزيهه والتعريض بجرمهم فيما قالوه "[٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٥].أظهر في مقام الإضمار فقال:{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ } ولم يقل : (إنهم هم الفاسقون) "لزيادة تقريرهم في الذهن لهذا الحكم، وهو قصر ادعائي للمبالغة لأنهم لما بلغوا النهاية في الفسوق جعل غيرهم كمن ليس بفاسق"[٦].

٢ – ومن شواهد القرائن اللفظية العدول عن المطابقة وهو الخروج عن النمط المعتاد والتحول عنه في التركيب بين أجزاء الجملة ، وذلك

---

١) اللغة العربية معناها ومبناها، د:تمام حسان ، ص ٢١٦ .

٢) التوبة الآية : ٦١ .

٣) التوبة من الآية : ٥٨ .

٤) التحرير والتنوير، ١٠/ ٢٤١ .

٥) التوبة الآية :٦٧ .

٦) التحرير والتنوير ، ١٠/ ٢٥٣ .

لإعجاز بياني أو لضرورة يقتضيها السياق يقول د. تمام حسان : " إن العرب كانت تترخص أحيانا في هذه القرينة اللفظية الإضافية، لأن أمن اللبس يتحقق بوجودها وبعدمه، ولقد وجدنا في مأثور العرب الكثير من الشواهد والأمثلة على هذه الظاهرة"(١).

ومن شواهد المطابقة (الرتبة) – بالتقديم والتأخير ومن شواهد ذلك في آيات غزوة تبوك : تقديم الجار والمجرور على عامله . من ذلك :

قولـــه تعـــالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾(٢). "وتقـــديم المجرور على عامله(سقطوا) للاهتمام به لأنه المقصود من الجملة،أي في الفتنة العظيمة سقطوا "(٣).

٣- ومن شواهد العدول عن المطابقة : العدول عن المطابقة في العدد ، وذلك بأن يعدل عن صيغة المثنى إلى صيغة المفرد من ذلك : قوله تعـــــالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

كان المتوقع من ظاهر السياق أن يقال أحق أن (يرضوهما) ولكن الله تعالى قالُ:{ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ} فأفرد الضمير؛ لأن في السياق ما يدل عليه؛" في رضى الله تعالى رضى الرسول فحذف تخفيفا، ومعناه: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه، كما قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بَمَا ... عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

---

١) اللغة العربية معناها ومبناها : د/تمام حسان، ص٢٣٣ .

٢) التوبة من الآية: ٤٩ .

٣) التحرير والتنوير ، ٢٢١/١٠ .

٤) التوبة الآية : ٦٢ .

أي: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض"[١][٢].

قال صاحب تفسير المنار:"كان الظاهر أن يقال: " يرضوهما " ونكتة العدول عنه إلى: (يرضوه)للإعلام بأن إرضاء رسوله من حيث إنه رسوله عينُ إرضائه تعالى؛ لأنه إرضاء له في اتباع ما أرسله به، وهذا من بلاغة القرآن في الإيجاز، ولو قال: (يرضوهما) لما أفاد هذا المعنى "[٣].

ثانيا : **القراءات القرآنية** .

" من العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى "علم القراءات القرآنية" مشهورها وشاذّها ؛ لأن روايتها أوثق الشواهد على ما كانت عليه ظواهرها الصوتية، والصرفية، والنحوية، واللغوية بعامة، في مختلف الألسنة واللهجات "[٤].

وتعدُّ القراءات القرآنية نوعا من القرائن اللفظية ، يتم اللجوء إليها عند إرادة الاعتماد على السياق في الشرح والتفسير ، لذلك وجب التعرض لها بوصفها عنصرا من عناصر القرائن اللفظية في السياق القرآني .

والسياق هو العمدة في توجيه القراءات القرآنية ؛ ذلك لأن تعدد القراءات في الغالب يدل على تعدد المعنى ، وبالتالي فالذي يحدد دلالة الاختلاف الحاصل في تعدد القراءات ، وتوضيح المعنى المراد من توجيه وتعليل كل

---

١) البيت من المنسرح ، وهو" لعمرو بن امرئ القيس الأنصاري يخاطب مالك بن العجلان: لسان العرب مادة (ف ج ر) .

٢) تفسيربحرالعلوم :السمرقندي :٦٢/٢ .

٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد بن علي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م:١٠/ ٤٥١ .

٤) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ،د.عبدالصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١، ١٩٦٦م : ص٧ .

قراءة هو السياق ، ولذلك فإن السياق هو الذي يجمع بين القراءات القرآنية وتعدد المعنى .

ومن الشواهد الدالة على ذلك في آيات غزوة تبوك : قوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

"اختلف القراء في قراءة (صَلَاتَك) فقرأته قُرأء المدينة:{إِنَّ صَلوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ}بمعنىدعواتك.

وقرأ قُرّاء العراق وبعض المكّيين: {إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} ، بمعنى: إن دعاءك"(٢). والذي يتفق مع السياق هو القول بالقراءتين معا.

فقراءة الإفراد {صَلاتَكَ} "لأن السياق في الإخبار عن دعاء النبي ﷺوصلواته أنه سكن لهؤلاء القوم، لا الخبر عن العدد "(٣).

ويكون المعنى :" إن دعاءك تسكن نفوسهم إليه وتطمئن قلوبهم به إلى الغاية ويتقون بأنه سبحانه قبلهم "(٤).

وأيضا موافقة لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٥).

---

١) التوبة الآية : ١٠٣ .

٢) جامع البيان ، ١٤/ ٤٥٨ .

٣) الصفحة نفسها.

٤) روح المعاني ،١٥/٦.

٥) الأنعام الأية : ١٦٢.

والقراءة على الجمع (صَلوَاتك) موافقة للسياق أيضا وذلك "لقوله قبلها {وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ}[١]. فلا فرق في شيء من ذلك في وجه من الوجوه"[٢].

كذلك جاء التعويل على السياق في الجمع بين القراءات القرآنية وتعدد المعنى في قول الله تعالى:﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٣].

قال الإمام الطبري :"اختلف القراء في قراءة قوله: {أولا يرون} فقرأته عامة قراء الأمصار:{أولا يرون} " بالياء، بمعنى أولا يرى هؤلاء الذين في قلوبهم مرض النفاق. وقرأ حمزة: (أولا ترون) بالتاء، بمعنى أولا ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون؟"[٤].

والسياق يؤيد القراءتين معا،فقراءة الجمهور بالياء لأن السياق في الحديث عن المنافقين وبيان حالهم ،فيكون "ضمير الغيب (الياء)في يرون راجعا على الذين في قلوبهم مرض"[٥].

---

١) في قول الله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾.التوبة من الأية : ٩٩.

٢) حجة القراءات ، ص٣٢٣ .

٣) التوبة الآية : ١٢٦.

٤) جامع البيان ، ٩٠/١٢، والسبعة في القراءات ، لأبي بكر بن مجاهد البغدادي ،تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ : ص٣٢٠

٥) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، لعبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء ، ، تحقيق، أنس مهرة ، دار الكتب العلمية – لبنان ، ط٣، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ : ص٣٠٨ .

قال الخازن في لباب التأويل:" قرئ بالياء على أنه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ "[1][2].

ويؤيد القراءة بالياء كون"الهمزة في قوله:(أَوَلَا يَرَوْنَ) للانكار والتوبيخ"[3].

قال الإمام الرازي :"قوله: أولا يرون هذه ألف الاستفهام دخلت على واو العطف، فهو متصل بذكر المنافقين"[4].

والقراءة بالتاء (أولا ترون) تتفق مع السياق أيضا لأن السياق في الحديث عن المنافقين ، وبيان حالهم ، وكشف حقيقتهم للمؤمنين .

لذا جاءت القراءة الثانية (ترون) بالتاء لتفيد "أنه جعل الخطاب للنبي ﷺ فدلّ بالتاء على ذلك، وأدخل أمّته معه في الرؤية"[5].

"ففيه كشف لمكر المنافقين عن طريق اطلاع رسول الله ﷺعلى ما يضمرونه من سوء، وما يقولونه من منكر، وما يفعلونه من أفعال خبيثة، وحلول المصائب والأمراض بهم، ومشاهدتهم لانتصار المؤمنين وخذلان الكافرين"[6].

---

١) التوبة من الآية :١٢٥.

٢) تفسير الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل ، تصحيح:محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١٥هـ.

٣) روح البيان : ٥٤١/٣ .

٤) تفسير الفخر الرازي : ١٧٥/١٦ .

٥) الحجة في القراءات السبع ،لابن خالويه ، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم– جامعة الكويت، دار الشروق – بيروت ،ط٤، ١٤٠١ هـ : ص١٧٨ .

٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٤٣١/٦ .

المبحث الثاني

العلاقة بين النص والسياق الخارجي"المقاميأوغيراللغوي"

وتتضمن:

أولا: السياق الاجتماعي في آيات غزوة تبوك:

للسياق الاجتماعي أثر بالغ في الكشف عن المعني المراد ، "ويشمل هذا السياق عددا كبيرامن العوامل الاجتماعية التي ينتمي إليها المتحدث والمتلقي،والتعامل الاجتماعي ونوعية هذا التعامل ،والمعرفة المشتركة بين المشتركين في الكلام "(١).

إذن فالسياق الاجتماعي هو حصيلة العادات والتقاليد والأعراف التي تمارس في بيئة معينة ومحددة ، واللغة مجموعة هذه العادات والأعراف .

ومن شواهد السياق الاجتماعي في آيات غزوة تبوك ،قول الله تعالى:﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٢).

فالآية تشير إلى خروجهم إنما كان عادة من عاداتهم الاجتماعية ، وهي من أجل أن يحصلوا على مغنم أو سفر من أجل تجارة تعود عليهم بالنفع الدنيوي .

يقول الإمام ابن عاشور:"تقييد الخروج بالمعية إشعار بأن أمر الغزو لا يهمهم ابتداء، وأنهم إنما يخرجون لو خرجوا إجابة لاستنفار النبيﷺ : خروج

---

١) علم اللغة الاجتماعي : هدسن ، ترجمة :محمد عبد الغني عياد ، مراجعة عبد الأمير الأعسم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠٠٤م : ص ٣٨٢.

٢) التوبة الآية: ٤٢.

الناصر لغيره، تقول العرب: خرج بنو فلان وخرج معهم بنو فلان، إذا كانوا قاصدين نصرهم"[1].

وفي قوله تعالى:﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[2].

"ذكر المفسرون أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة. والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد. وهذا كان من إطلاقاتهم الاجتماعية .

قال محمد بن إسحاق: "الذي عُفِي عنه رجل واحد وهو مخشى بن حمير الأشجعي يقال : إنه هو الذي كان يضحك ولا يخوض. وقيل: إنه كان يمشي مجانبا لهم ،وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع إلى الإسلام وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ عني بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه"[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[4].

قال الإمامأبوحيان : "قال الإمام الأزهري في جماعة من أهل اللغة:" السبعون هنا جمع السبعة المستعملة للكثرة، لا السبعة التي فوق الستة

---

١) التحريروالتنوير، ٢٠٩/١٠.

٢) التوبة من الآية: ٦٦ .

٣) تفسير الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل : ٣٨٠/٢ .

٤)التوبة الآية:٨٠ .

انتهى. والعرب تستكثر في الآحاد بالسبعة، وفي العشرات بالسبعين، وفي المئين بسبعمائة. قال الإمام الزمخشري: "والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير"(١).

وقال الإمام سيد طنطاوي:" والمقصود بذكر السبعين في قوله: إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً إرادة التكثير، والمبالغة في كثرة الاستغفار، فقد جرت عادة العرب في أساليبهم على استعمال هذا العدد للتكثير لا للتحديد"(٢). فذكْر العدد هنا جرى مجرى أحاديثهم وتعبيراتهم الاجتماعية .

وفي قوله

تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾(٣).

يرى المفسرون " أن النظر كان إيماءً كأنهم يتغامزون ، وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون لا يظهرون ذلك"(٤).

قال الإمام سيد طنطاوي:" وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أو آيات منها، على الرسول ﷺوهم موجودون في مجلسه نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ في ريبة ومكر، وتغامزوا بعيونهم وجوارحهم في لؤم وخسة"(٥).

---

١)البحر المحيط: ٤٧٢/٥.

٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ٦/ ٣٦٣ .

٣) التوبة الآية: ١٢٧ .

٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، عالم الكتب – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م :٢/ ٤٧٦ .

٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ٦/ ٤٣١ .

والنظر هو : تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه، إذا عاينته"[1].

والذي أوحي إلى المفسرين دلالة (النظر)على الإيماء، هو السياق الخارجي، الذي كشف عن معنى الآية من خلال العادات التعبيرية ،التي يسلكها العرب " الغمز – الإيماء " وخاصة المنافقون ؛ لأنها جاءت في سياق يفضح سلوكهم عند نزول القرآن .

ولخوفهم من أن تفضحهم كانوا يفعلون ذلك ، وينصرفون خلسة من أن يراهم أحد ، ومن خلال ما سبق يتضح أن المفسرين قد اعتمدوا على السياق الاجتماعي ، لتوضيح المراد من اللفظ من خلال التعبيرات الاجتماعية العربية .

ثانيا : **أسباب النزول في آيات غزوة تبوك**.

تعد أسباب النزول من عناصر سياق القرآن الكريم ، وتؤثر في توجيه الدلالة القرآنية وفي غيرها ؛ إذ هي من أدوات المفسر ، التي يجب الركون إليها ، قبل الشروع بتفسير النص القرآني من خلال بحث المناسبات والأحداث والوقائع التي رافقت النص ، فقد اقترنت الآيات القرآنية بدواع وأسباب في شأن نزولها ، ولهذا قيل: " إنه لايمكن تفسير الآية دون الوقوف

١) مقاييس اللغة :٥/٤٤٤ مادة: (ن ظ ر).

علـى قصـتها وبيـان سـبب نزولهـا"[١]. لأن " العلـم بالسـبب يـورث العلـم بالمسبب"[٢].

نستدل على ذلك بتفسير علمائنا للقرآن الكريم وسأذكر هنا – على سبيل المثال– ما يأتي : قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣].

"نزلت في جَدِّ بْنِ قَيْس المنافق، وذلك أن رسول الله ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال له: "يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء؟ " فقال: يا رسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء، وإني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهم فلا تفتني بهم وائذن لي في القعود عنك وأعينك بمالي، فأعرض عنه النبي ﷺ وقال: "قد أذنت لك"، فأنزل الله هذه الآية"[٤].

استعان المفسرون بسبب نزول الآية ليكشفواعن جماعة من المنافقين ومنهم الجدّ بن قيس قد تخلفوا عن غزوة تبوك واعتذروا بأعذار كفتنة النساء ، ففضحهم القرآن وبيّن إبطالها بسقوطهم في فتنة الكفر والضلال.

---

١) أسباب النزول : الواحدي ، دار الإصلاح – الدمام ،ط٣، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م : ٨/١ ، والإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٤ ، ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤ م ، ١٠٨/١ .

٢)مجموع الفتاوى: لابن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م : ٣٣٩/١٣ .

٣) التوبة الآية: ٤٩.

٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٤/ ٢٨٧ ، أسباب النزول : الواحدي، ١/ ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ١٥٨/٨ .

وفي تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

قال المفسرون" نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي ﷺ، ويقولون لهما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا، فقال الجلاس بن سويد منهم: بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول، فإنما محمد أذن، أي: أذن سامعة. يقال: فلان أذن سامعة ....، وقال محمد بن إسحاق بن يسار: نزلت في رجل من المنافقين يقال له "نبتل بن الحارث" ، وكان رجلا أدلم[2]، ثائر شعر الرأس ،أحمر العينين ،أسفع[3] الخدين ،مشوه الخلقة، وقد قال النبي ﷺ: "من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث" ، وكان ينم حديث النبي إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن فمن حدثه شيئا صدقه، فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف بالله فيصدقنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[4].

وتوجيه هذا المعنى المذكور إنما تم على ضوء سبب النزول الذي نزلت الآية بسببه ، ولولا معرفة سبب نزول الآية مااتضح معناها الوضوح الكامل من أحداث ومواقف أسهمت في فهم الآية فهما صحيحا .

---

١) التوبة الآية: ٦١.

٢) أدلم : شديد السواد : لسان العرب :١٢/٢٠٤ ، مادة (د ل م).

٣) سواد مشبع بحمرة: سواد مشبع بحمرة :لسان العرب :٨/١٥٦ ، مادة (د ل م).

٤) تفسير البغوي : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ط١ ، ١٤٢٠ هـ : ٢ / ٣٦٤، واللباب في علوم الكتاب : ١٠/ ١٢٨ ، وتفسير الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل: ٢/ ٣٧٧

الخاتمة

أحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات على توفيقه لإتمام هذه الدراسة المتواضعة الموسومة بـ : (آيات غزوة تبوك دراسة سياقية) وقد استخلصت هذه الدراسة مجموعة من النتائج أهمها :

١- عناية علماء اللغة العرب القدامى من لغويين ومفسرين وأصوليين وبلاغيين بالسياق وهو ما يتضح من خلال تنوع تعبيراتهم بين النظم ،والحال ، واللحاق ، والمناسبة ، والمقام :(لكل مقام مقال)، كما أظهروا أن كل معاني الكلمات لاتتضح إلا من خلال السياق، مما يوضح حقيقة أن جذور نظرية السياق موجودة ومتشعبة في التراث العربي ، وأن علماء العرب القدامي لهم فضل السبق والريادة ، ولكنهم لم يقعدوا السياق ، ولم يفردوا له مؤلفا مستقلا .

٢- بينت الدراسة تطور نظرية السياق عند الغربيين ، وتأثر بعض اللغويين العرب بهم ، وتطبيقهم لنظرية السياق في دراساتهم ، وكان من أبرزهم :د.تمام حسان –رحمه الله– صاحب كتاب :اللغة العربية معناها ومبناها ،ود.عبد الفتاح البركاوي–رحمه الله– في كتابه : دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث .

٣- إن تحديد المعنى المراد في العلاقات الدلالية كالمشترك ، والتضاد ، والألفاظ التي بينها شبه ترادف لابد وأن تعتمد على توظيف السياق بنوعيه : الداخلي للنص ، وكذلك السياق الخارجي بكل ما يحيط بالنص وظروفه وملابساته ، والمناسبة التي قيل فيها الكلام ، وذلك فإن الجهل بدور السياق بنوعيه الداخلي والخارجي وقرائنه في تسليط الضوء على تحديد المعنى المراد وإزالة الغموض قد يكتنفه غالبا إلى إنكار وقوع ظاهرة التضاد أو المشترك أو الترادف ، فالذين

أنكروا وقوع الأضداد وجعلوه يؤدي إلى الغموض هو أنهم أغفلوا دور السياق في تسليط الضوء على المعنى المراد .

٤- تُظْهر الدراسة دور السياق في إيثار لفظ دون الآخر ، وتخير حرف دون غيره من خلال الألفاظ المفردة والحروف التي تزخر بها آيات غزوة تبوك ؛ لذا فإن للسياق أثرا في توجيه الدلالة وانتقائها ، فهو أحد أعمدة الترجيح في منهجية التفسير ولا يُستغنى عنه ، كما يؤكد انتفاء إمكانية الترادف التام ، أي حلول لفظة مرادفة مكان لفظة قرآنية مرادفة لها ، فلا توجد لفظتان تعطيان المعنى نفسه فكل لفظة فيه تحمل معنى جديدا ، ومن هنا يتضح أن القرآن الكريم لا تفاوت في بيانه ، وأن كل ما ورد بليغ في موضعه لا يصلح سواه في مكانه .

٥- أوضحت الدراسة أيضا أن الوحدة الصرفية لا يظهر معناها المراد من حيث هي صيغة ، بل فيما يضفي عليها السياق ، ولهذا فقد كان للسياق على مستوي الصيغة الصرفية في آيات غزوة تبوك أثرٌ بارزٌ في تصوير المنافقين وذلك من خلال اختيار صيغة صرفية بعينها قد رسمت صورة المنافقين في تخلفهم عن غزوة تبوك وتربصهم السوء للمسلمين ، وتعللهم بالأعذار الواهية ، وغير ذلك من المواقف المخزية التي لاتخلو من حقد دفين وكيد وتآمر بالمسلمين .

٦- السياق هو العامل الأول والأهم في تقدير المحذوف ، والسياق هنا يتألف من المقام الخارجي ، وملاحظة الحذف وموضعه وتقديره يقود إلى اكتمال النص تركيبيا ودلاليا ، كل ذلك مع استصحاب واقع المخاطبين ، ومقام المخاطِب والمخاطَب ، واستصحاب الرسالة اللغوية جميعا.

٧- يدل السياق على التقديم والتأخير ، وأن هذا يرجع إلى أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول .

٨- ماجاء في القرآن على خلاف مقتضى الظاهر ، فإنه قد جاء على وفق الاستعمال والتعبير اللغوي اللائق بما يناسب المقام .

٩- للسياق أثر كبير في تفسير النصوص القرآنية وذلك من خلال القرائن السياقية التي تعين على تفسير كل كلمة ، بل كل حرف في القرآن الكريم .

١٠- أثبت البحث أن السياق هو الأساس في توجيه القراءات القرآنية؛ ذلك لأن تعدد القراءات في الغالب يدل على تعدد المعنى ، وعليه فالذي يحدد دلالة الاختلاف الحاصل في تعدد القراءات ، وبيان المعنى المراد من توجيه وتعليل كل قراءة هو السياق ، ولذلك فإن السياق هو الذي يجمع بين القراءات القرآنية وتعدد المعنى .

١١- أهمية معرفة سبب نزول الآيات ، فالسعي لاكتشاف دلالة النص القرآني يجب أن يتبعه بناء للمقام الأصيل الذي وقع فيه أو بسببه النص ، حتى يفهم النص على وجهه الصحيح ، إذن فلا يمكن تفسير الآيات القرآنية بمعزل عن سياقها الخارجي أو المقامي .

١٢- أهمية معرفة العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية عند العرب في كلامهم وأساليبهم التعبيرية وقت نزول القرآن ؛ لأن ذلك يساعد على استجلاء المعنى وتوضيح خفايا النص القرآني وفهم مراميه ومعانيه ؛ لأن القرآن مَعْنيّ بمَن نزل فيهم ، ونطق بلغتهم ، وخاطبهم وأجاب عن أسئلتهم ، وناقشهم وتحداهم .

١٣- أظهرت آيات غزوة تبوك صفات المنافقين ، وشدة خطورة النفاق والمنافقين على المجتمعات ، وأنه يجب الحذر منهم عند التعامل معهم، والتصدي الدائم لمؤامراتهم .

هذا ما يسر الله درسه وبذله في هذا البحث ، وما كان فيه من صواب فمن الله العلي الأعلى الوهاب ، وما فيه من خلل فمني ومن زلل الشيطان ، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث من العلم النافع ، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد الله رب العالمين .

ثَبْت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أبنية الصرف في كتاب سيبويه (معجم ودراسة) ، خديجة الحديثي ، مكتبة لبنان – بيروت،٢٠٠٣م .

٢- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، لعبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء ، تحقيق، أنس مهرة ، دار الكتب العلمية – لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م ١٤٢٧هـ .

٣- الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٤ ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .

٤- أثراللسانيات في النقد العربي الحديث : د/ توفيق الزيدي ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٤م .

٥- أثر الوقف على الدلالة التركيبية :د/محمد حبلص ، دار الثقافة العربية ،١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٦- الأدلة الاستثنائية عند الأصوليين : أبو قدامة الكنانيّ ، دار النفائس ، عمّان ، ١٤٢٥هـ .

٧- أساس البلاغة : للزمخشري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م .

٨- أسباب النزول : الواحدي ، دار الإصلاح – الدمام ،ط٣، ١٤١٢هـ .

٩- الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي نشر: مكتبة السوادي، جدة ـ المملكة العربية السعودية،ط١٤١٣،١هـ– ١٩٩٣م

١٠- الاشتراك اللفظي في القرآن بين النظرية والتطبيق : محمد نور الدين المنجد ، دار الفكر ، دمشق ، ط١، ١٩٩٩م .

١١- الأضداد : أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
١٢- الأضداد للسجستاني – ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ،دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.
١٣- إعجاز القرآن البياني ، ودلائل مصدره الرباني: د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١٤٢١،١-٢٠٠٠م.
١٤- إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية ـ حمص، سورية،(دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت)ط٤ـ ١٤١٥هـ
١٥- الإيضاح في علوم البلاغة:الخطيب القزويني ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية –بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .
١٦- البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ
١٧- بدائع الفوائد : ابن القيم ، دار الكتاب العربي- بيروت، لبنان .
١٨- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان:برهان الدين الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، نشر: دار الفضيلة.
١٩- البرهان في علوم القرآن : للزركشي ، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم،- دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط٦، ١٣٧ هـ – ١٩٥٧م.

٢٠- بصائر ذوي التمييز : للفيروزآبادي ، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢١- البيان في روائع القرآن:د.تمام حسان،عالم الكتب،ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٢- البيان والتبيين : الجاحظ ، مكتبة الهلال، بيروت ، ١٤٢٣ هـ .

٢٣- التحبير في علم التفسير : السيوطي ، تحقيق د/فتحي عبد القادر فريد ، مكتبة دار العلوم ، الرياض، السعودية، ط١ ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٤- تاج العروس من جواهر القاموس:الزَّبيدي، دار الهداية ، (ب.د.ت).

٢٥- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: د/ محمد نور الدين المنجد دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان ط١.

٢٦- تصحيح الفصيح ، عبد ابن جعفر ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) : تحقيق:د/ عبد الله الجابوري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٥م .

٢٧- التعبير القرآني فاضل صالح السامرائي ، ط٤ ، دار عمار، عمان ، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ .

٢٨- تفسير أبي السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢٩- تفسير البغوي : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي -بيروت ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٠- تفسير البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ،ط١ ،١٤١٨ هـ،٣/٩٦.

٣١- تفسيرالتحرير والتنوير: لابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ .

٣٢- تفسير الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل ، تصحيح:محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١٥هـ.

٣٣- تفسير الشعراوي :للإمام محمد متولي الشعراوي ، نشر: مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧ : ٥١٠٨/٨.

٣٤- تفسير الفخر الرازي : مفاتيح الغيب / التفسير الكبير : ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣ – ١٤٢٠ هـ .

٣٥- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد بن علي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م .

٣٦- التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ط١ ، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م

٣٧- تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .

٣٨- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية ، ط٢، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م .

٣٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم :د. محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ،ط١ –١٩٩٧م .

٤٠- التفسير الوسيط: الواحدي،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤ م .

٤١- تفسير حدائق الروح والريحان : للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م .

٤٢- تهذيب اللغة :للأزهري ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت ، ط١، ٢٠٠١م ،

٤٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .

٤٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الإمام الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٤٥- الجدول في إعراب القرآن وبيانه : محمود بن عبد الرحيم الصافي ، دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق ، ط٤، ١٤١٨ هـ .

٤٦- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع : حسن العطار الشافعي ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، بدون (ط ، ت) .

٤٧- حجة القراءات : أبو زرعة، تحقيق : سعيد الأفغاني ، دار الرسالة.

٤٨- الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم– جامعة الكويت، دار الشروق – بيروت،ط٤، ١٤٠١هـ.

٤٩- الخصائص : لأبي الفتح ابن جني ، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤ .

٥٠- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم البيان : محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، ط٤ ، -١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٥١- الدر المصون : السمين الحلبي،تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق .
٥٢- الدر المنثور بالتفسير بالمأثور:جلال الدين السيوطي ،الناشر: دار الفكر – بيروت .
٥٣- دراسات في فقه اللغة ،د.صبحي الصالح ،دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٦، ٢٠٠٤م
٥٤- دراسات لأسلوب القرآن : محمد عبدالخالق عضيمة ،ط١، دار الحديث، ١٣٩هـ- ١٩٧٢م.
٥٥- دراسة المعنى عند الأصوليين :د/طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، بدون (ط ، ت) .
٥٦- درةالتنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي ،تحقيق : د/ محمد مصطفى آيدين ، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ط١، ١٤٢٢ هـ .
٥٧- دلالة السياق :ردة الله بن ردة بن ضيف الله ،مكة المكرمة ،رسالة دكتوراه ،ط١، ١٤٢٤هـ .
٥٨- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث : د.عبدالفتاحالبركاوي ،دار المنار، القاهرة ،ط١ ، ١٩٩١م .
٥٩- الدلالة السياقية عند اللغويين ، عواطف كنوش ،دار السياب ، لندن ،٢٠٠٧م .
٦٠- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي ،نشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤٢٢هـ .

٦١- الرسالة : للإمام الشافعي ، تحقيق : أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر ، ط١، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م .

٦٢- روح المعاني: الآلوسي، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ .

٦٣- زاد المسير في علم التفسير:لابن الجوزي ،تحقيق، عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، - ١٤٢٢ هـ .

٦٤- زهرة التفاسير : لأبي زهرة ، دار الفكر العربي ، بدون (ط ، ت) .

٦٥- السبعة في القراءات ، لأبي بكر بن مجاهد البغدادي ،تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر،الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ .

٦٦- السياق اللغوي في النص القرآني : خليل خلف بشر ، جامعة البصرة ، دراسات نجفية .

٦٧- السياق وأثره في المعني :المهدي إبراهيم الغويل ،مكتبة الأكاديمية دار الفكر الجماهيري ، ليبيا ، بنغازي ،ط١ ،٢٠١١م .

٦٨- السيرة النبوية : لابن هشام ،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، نشر ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م ، ٢ /٥١٢.

٦٩- شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد الحملاوي :تحقيق : نصر الله عبد الرحمن ، مكتبة الرشد الرياض .

٧٠- شرح ابن عقيل : تحقيق: محمد محي الدين ، دار الفكر – سوريا ، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م .

٧١- شرح المفصل :لابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٧٢- شرح شافية بن الحاجب حمد بن الحسن الرضي الإستراباذي : تحقيق:محمد نور الحسن ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

٧٣- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ابن فارس ، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

٧٤- الطبقات الكبرى : ابن سعد البصري، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٠ م .

٧٥- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي :د.طاهر حمودة ، الدار الجامعية للطبع والنشر ، ط١، ١٩٩٨م .

٧٦- علم الدلالة : بالمر، إطار جديد : ف. ر. بالمر ، تحقيق ، د/صبر إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ،ط١ ، ١٩٩٥م .

٧٧- علم الدلالة : د/ أحمد مختار عمر ،عالم الكتب، ط٣ ، ١٩٩٢م .

٧٨- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي :د/هادي نهر ،دار الأمل ، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.

٧٩- علم اللسانيات الحديثة : د. عبد القادر عبد الجليل ، دار الصفاء للنشر ، عمان ، ط١ ،١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م .

٨٠- علم اللغة الاجتماعي : هدسن ، ترجمة :محمد عبد الغني عياد ، مراجعة عبد الأمير الأعسم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠٠٤م .

٨١- علم اللغة المعاصر: د/ يحيى عبابنة ،ود. آمنة الزغبي ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن .

٨٢- علم اللغة بين القديم والحديث: د/عبدالغفار هلال، مطبعة الجبلاوي، ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م .

٨٣- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة لبنان – بيروت ، ط١ ،١٩٩٧م

٨٤- فتح القدير: للشوكاني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، ط١ – ١٤١٤ هـ

٨٥- الفروق اللغوية:لأبي هلال العسكري ، تحقيق وتعليق : محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٨٦- فقه اللغة :د/علي عبد الواحد وافي، دارنهضة مصر ،الفجالة ، ط٢.

٨٧- فقه اللغة في الكتب العربية :د.عبده الراجحي ، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٧٩م .

٨٨- القاموس القويم للقران الكريم : للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣ .

٨٩- القاموس المحيط : تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٩٠- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث،د.عبدالصبور شاهين، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٦م .

٩١- قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي : أكرم بن ضياء العمري، سلسلة كتاب الأمة – قطر – ١٩٩٤م .

٩٢- الكتاب. لسيبويه،مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٩٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : للزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣ – ١٤٠٧ هـ .

٩٤- الكليات : معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء الكفوي ،تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٩٩٣م.

٩٥- لباب النقول في أسباب النزول : السيوطي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٩٦- اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء محب الدين ، تحقيق د. عبد الإله النبهان: دار الفكر – دمشق ، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

٩٧- لسان العرب:لابن منظور، دار صادر – بيروت ، ط٣ – ١٤١٤هـ.

٩٨- اللغة العربية معناها ومبناها : د/تمام حسان ، مكتبة الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٩٥م .

٩٩- لغة القرآن دراسة توثيقية فنية : د. أحمد مختار عمر ، نشر : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ،ط٢ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

١٠٠- مبادئ اللسانيات : د. أحمد قدور ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٩٦م، ١٤١٦هـ .

١٠١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:لابنالأثير،تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة.

١٠٢- مجمع الأمثال :أبو الفضل النيسابوريتحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد:دار المعرفة – بيروت، لبنان .

١٠٣- مجموع الفتاوى : لابن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٠٤- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :لابن جني ،وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

١٠٥- المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز :ابن عطية ،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي – دار الكتب العلمية – بيروت،ط١- ١٤٢٢هـ.

١٠٦- المزهر في علو اللغة : السوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١- ١٩٩٨م .

١٠٧- المستصفى من علم الأصول :لأبي حامد الغزالي ،تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٩م.

١٠٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي ، نشر: المكتبة العلمية – بيروت .

١٠٩- معاني القرآن : الأخفش ، تحقيق : د/ هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م .

١١٠- معاني القرآن:الفراء،دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،ط١.

١١١- معاني القرآن، النحاس : تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ط١، ١٤٠٩هـ .

١١٢- معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٠م

١١٣- معجم ألفاظ القران الكريم : مجمع اللغة العربية ، طبعة منقحة، ١٤٠٩هـ -١٩٨٨ .

١١٤- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم :د/ محمد داود ، دار غريب ،٢٠٠٨م .

١١٥- معجم اللسانيات الحديثة : سامي عياد حنا ، كريم حسام الدين ، نجيب جرجس، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ .

١١٦- معجم المصطلحات الأدبية : إبراهيم فتحي ، دار شرقيات للنشر والتوزيع،ط١، ٢٠٠٠م ، باب اللوق ، القاهرة .

١١٧- المعجم المفصل في علم المصرف ، راجي الأسمر : دار الكتب العلمية –بيروت- ١٤١٣هـ -١٩٩٣م .

١١٨- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : د/أحمد مختار عمر ،دار سطور للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ م .

١١٩- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) نشر: دار الدعوة.

١٢٠- معجم علم اللغة النظري :د/محمد علي الخولي ،مكتبة لبنان – بيروت ، ط١، ١٩٨٢م .

١٢١- المعنى وظلال المعنى،أنظمة الدلالة في العربية : د/محمد محمد يونس ، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان- ، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٢٢- المفردات في غريب القرآن: تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ،ط١ – ١٤١٢ هـ .

١٢٣- مقاييس اللغة : لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

١٢٤- الموافقات: للشاطبي ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن ، دار ابن عفان ، السعودية ،ط١ ،١٤١٧هـ . ١٩٩٧م .

١٢٥- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور :أ. د. حكمت بن بشير بن ياسيننشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية،ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

١٢٦- موسوعة الغزوات الكبرى :غزوة تبوك ، محمد أحمد باشميل ، دار المطبعة السلفية ، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

١٢٧- الموسوعة القرآنية : إبراهيم بن إسماعيل الأبياري ،مؤسسة سجل العرب ، ١٤٠٥هـ

١٢٨- النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعني النحوي والدلالي : د/ محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ، ط١ ، ٢٠٠٠م.

١٢٩- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت ،ط١ ،١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٣٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : للبقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

١٣١- النكت والعيون للماوردي ،تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

١٣٢- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير : تحقيق: طاهر أحمد الزاوى: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٣٣- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : هارون بن موسى ، تحقيق :د/ حاتم صالح الضامن ، بغداد - وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الآثار والتراث ،١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م .